الكتاب المائة والسادس عشر

للقس صموئيل مشرقى

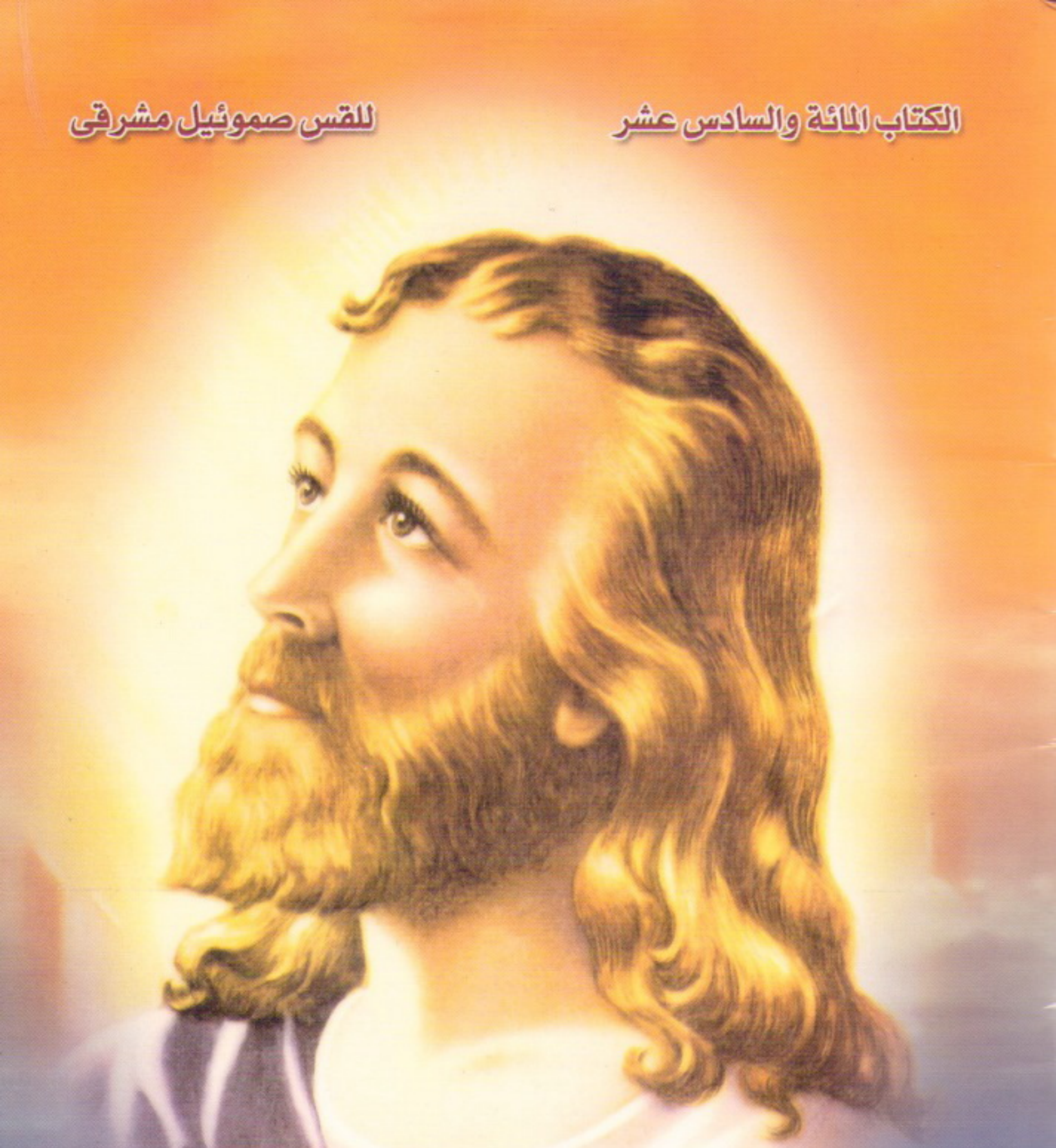

القول الصريح فى حقيقة معنى بنوة المسيح لله

الكتاب رقم ١١٦

القول الصريح فى
حقيقة معنى بنوة المسيح للّه

شرح لأخطر موضوعات اللاهوت المسيحى

بقلم
القس صموئيل مشرقى رزق
رئيس مجمع الله الخمسينى

حقوق الطبع محفوظة

صدر فى مارس ٢٠٠٧
ويطلب من كنيسة الله المركزية
٨ شارع أحمد باشا كمال بجزيرة بدران
ت : ٥٧٧٥٦٧٦
ومن المكتبات المسيحية

اسم الكتاب : القول الصريح فى حقيقة معنى بنوة المسيح لله
اسم المؤلف : القس صموئيل مشرقى رزق
الناشر : مجمع الله الخمسينى
اسم المطبعة : اوتو برنت – ت & ف : ٥٨٧١٠٠٢
رقم الايداع : ٢٠٠٧/٧٦٦٤

تمهيد

لقد كان من المحتم أن تتفق "الكنيسة الجامعة" فـــى جـــوهر العقيـــدة المسيحية بعد البحث الذى دار فى مجمع نيقية حيث انتصر الحق علـــى الباطل وتقرر الخط الفاصل بين الديانة المسيحية وغيرها.. وهذا هو سر تمسك الكنيسة بعقائدها الأساسية فى كل عصورها وتأكيد الحاجة إليه فى الجيل الحاضر بنفس ما كانت عليه فى الأجيال الماضية **ولا غرو فهـــو اقرار الإيمان المسيحى لكونه تراث المسيحية الخالد بين الميراث الثمين الذى ورثناه عن الكنيسة الأولى!!**

والمسيحية بذلك قد ضمنت لنا وضع الأمور فى نصابها وحدد فـــى "النقطة المركزية" التى يتجمع فيها اعلان الوحى وبالأخص عن "ابن الله الوحيد" الذى هو "بؤرة" أشعة الديانة المسيحية!!

قد تتفق الأديان فى الأعتراف بالله (كآب) **ولكن المسيحى الحقيقـــى هو الذى ينفرد بالإيمان بيسوع المسيح "كابن الله الوحيد"** وذلك بالأكثر لأن حقيقة الخلاص الذى تجاهر به المسيحية تستلزم فى من يقـــوم بـــه لاهوتا يصل بالله وناسوته يصله بالناس!!

ومن ثم فـــأن الإيمان بيسوع المسيح كابن الله هـــو الـــذى يميـــز العقيدة المسيحية عن جميع العقائد الأخرى ومن ثم فأن اقراره على يـــد "أثناسيوس" كان أخطر قرار صدر فى تاريخ الكنيسة حتـــى أن مســـتقبل الكنيسة كان متوقفا عليه رغم صعوبة قبوله فى عدة مجالات، فضلا عن كونه كثيرون من معارضينا مستعدين أن يخففوا انتقادهم لها اذا تنازلنـــا

عن تمسكنا به – **ولكن يستحيل ذلك لأن المسيحية لا يمكن أن تتصالح مع العالم باسقاط هذا الموضوع من قرار ايمانها بالتساهل فى جوهر ايمانها الأ وهو "لاهوت المسيح" لذلك كان الحق مع "أثناسيوس" الذى طبع الإيمان بابن الله على الكنيسة طابعا لا يمحوه الزمن لأنه قد صار وديعة الأجيال المتعاقبة إلى ما لا نهاية!!**

هنا وقد تمسكت الكنيسة بهذا الإيمان رغم ما أصابها فى سبيله من عذاب وذلك باعتباره التعليم الأصلى والإيمان الكنسى الصادر من فم المسيح نفسه، والذى علمه الرسل وحفظته الكنيسة لكونها بنيت عليه، والذى يرفض ذلك لا يكون مسيحيا ولا يستحق أن يطلق عليه اسم المسيح.

المؤلف

الفصل الأول

أهمية هذه البنوة وتفنيد أوصافها غير الصحيحة

"فالذى قدسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف لأنى قلت إنى ابن الله؟" (يو ١٠: ٣٦)

أما مبدأ هذا الاعتقاد فكان هكذا : عندما كانت آيات الإنجيل تتلى منذ بداية المسيحية كانت عباراته تفهم فى يسر وسهولة وكانت العقلية المسيحية ترى أن التعبير "ابن الله" فى غاية الوضوح وكأنه أمر مقطوع به لا يحتاج إلى تفسير **إلى أن جاء القرن الثانى الذى ظهر فيه "آريوس" فاثار مشكلة كيفية التوفيق بين المسيح ككائن إلهى وبين الأعتقاد الأساسى الذى ورثته المسيحية من العهد القديم وهو أن هناك إله واحد!؟** ولقد كان للكنيسة جواب واحد قاطع يقوم فى أن المسيح هو "ابن الله" ... ولقد تمسكت الكنيسة بهذا القرار السليم كمركز لوحدة إيمانها فى وجه الهرطقات القديمة والحديثة التى حاولت أن تمس بغباء سر هذا "الإيمان القدسى" إلى يومنا هذا...

ولقد كان المسيح هو الذى قال عن نفسه أنه "ابن الله الوحيد" ولولا ذلك لما كان فى استطاعتنا أن نتحدث عنه هكذا لأنه من ذا الذى يستطيع فهم حقيقة كنهه ومجده لو لم يتنازل هو ويحدثنا عن نفسه وحقيقة شخصه فى حدود احتمال عقولنا مؤيداً بالبراهين العملية (المعجزات) صدق دعواه – ولذلك فأن تمسكنا بهذه التسمية "ابن الله الوحيد" ليس فيه إثم فى الدين ولا تجاوز عن الإيمان الحق!! ونحاول تفهمه بقدر طاقة عقولنا فيما يأتى:-

القول الصريح فى حقيقة معنى بنوة المسيح لله **وذلك لمواجهة من يرفضون البعض تسمية المسيح بابن الله ويستنكفونها لأن الصعوبة فى هذه التسمية عظيمة جدا وخاصة لدى أصحاب التوحيد المطلق مهما وضحناها لهم** ومهما قدمنا من براهين قاطعة نثبت بها يقيننا بصحة هذه التسمية فأن هذه البراهين لا يمكن أن تزيل من هذا السر غموضه أو توضحه تماما للعقل البشرى لأنه من الأمور الإلهية التى تفوق العقل والتى اراد بها الله أن يمتحن طاعة عقولنا والتى يجب التسليم بقبوله بالإيمان. فنحن هنا أمام أعمق الأسرار الإلهية التى لا يدرك العقل كهنها **ولا يحق لنا أن نتفلسف فى تفكيكها وتحليلها أو أن نلصق بها أفكاراً من عندياتنا** فليس أحد يعرف من هو الابن إلا الآب وعلى ذلك فنحن نقرر بأن هذا السر هو من معلنات الكتاب المقدس. فما زعم المسيحيون إذا أن المسيح ابن الله كما يفترون **لكن المسيح هو الذى قال عن ذاته أنه "ابن الله الوحيد"** وليس فى اعترافنا بذلك إثم وبهتان ولا تجاوز فى حدود اللغة فماذا يراد بهذه النبوة؟ وما صحيح تفسيرها مما يلزمنا بالتوقف عند حد ما قال المسيح عن نفسه فحسب!!

نبدأ هنا بدحض بعض الأقوال الخاطئة بهذا الشأن :-

١- **قال البعض أن المسيح ابن الله بالمعنى الجسدى الحرفى** : وبنوة كهذه كالبنوة فى عالم الإنسان تقتضى اللحم والدم كما تقتضى الرجل والمرأة وحاشا لله "أن تكون له صاحبة" منها ولد المسيح.. تعالى الله علوا كبيراً عن هذا اللغو السخيف لأنه جل شأنه روح لطيف لا جسم كثيف! **والذين يقولون هذا القول يضلون ضلالا بعيدا ويفترون على**

الحق ويقترفون إثما عظيمـــا. وأغلب الظن أن نفور الناس من لفظة "ابن الله" ترجع إلى أنهم يحصرون معنى "ابن" فى الولادة مـــن آب وأم والحقيقة أننا لا نسطيع أن نقصر كلمـــة "ابـــن" علـــى الـــولادة المعروفة بيننا **لذلك نقول أن لفظة "ابن الله" لا يقصـــد بهـــا الـــولادة الجسدية كالتى بين البشر فليس فى اللاهوت أم ومـــا العـــذراء إلا أم الناسوت فقط! وأما هذا التجاوز فانه لأسباب تاريخية جاء وصفها بأم الله ووالدة الإله للرد على هرطقة نسطور!!**

وأما عن كل ما يعبر به البشر وخصوصا فى موضوع التوالد ولسنا فى حاجة إلى القول بأن ابوة الله العامة للملائكة والبشر لـــيس أساســـها التوالد الجسدى فكم بالحرى بنوة المسيح الفريدة!؟ وإزاء ذلك شتان بـــين ولادته وغيرها مما يمتنع معه أنها خلق من لا شئ أو خلق بالتناسل كما فى البشر!!

فالولادة الجسدية المادية فكرة تجديفية وليست مسيحية فالله فى الحقيقة لا يلد ولا يولد بالكيفية التى نفهمها نحن. والذين يهزأون بالمسيحية فـــى هذا الشأن يجب أن يهزأوا بأنفسهم لأنهم لم يعرفوا حقيقـــة تعليمهـــا. ولا شك أن البنوة التى حاربها الأسلام هى البنوة التناسلية بدليل ذكر الصاحبة كما يشهد بذلك قول القرآن" بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولـــد ولم تكن له صاحبة" ومن الملاحظ أن يسوع المسيح لا يسمى أبدا "ولـــد الله" بل "ابن الله" وذلك لأن لفظه "ابن" تسمو على لفظة "ولد" بما لها مـــن معنى روحى عميق كما قال الدكتور زويمر! **فبنوة المسيح إذا لا تعنـــى الولادة التناسلية الكثيفة بتاتا وبحالة قاطعة!!**

إذاً فليس هو ابن بالمعنى الحرفى الذى يتبادر إلى الذهن الجسدى فهو ليس ابنا لأن الآب أنجبه (فإن التثليث ليس أباً وأماً وابناً كما جاهر البعض من المعترضين رغم ما فى ذلك من خطأ فاضح وابتعاد عن الحقيقة) فهو ليس ابن بمعنى جسدى لأن المسيحى يعتبر ذلك تجديف على الله.

ويقول القديس اثناسيوس بهذا الشأن ما يأتى : "وعند ذكر البنوة فى اللاهوت لا تحدثن نفسك بشئ من الأمور البشرية ولا يخطر على ذهنك شئ من الفكر الجسمانى".

ولقد تحاشى يوحنا الدمشقى استخدام الألفاظ التى تدل على ولادة بشرية هنا مما يعتمد على الجنس ليس تأييدا منه للإسلام فى رفضه عقيدة بنوة المسيح بل **لأن الأعتراض على التفسير الجسدى لهذه البنوة جاء من المسيحيين قبل ظهور الأسلام بزمن بعيد.** فهذه البنوة إذا تسمو بما لا يقاس عما يمكن تصوره فى البنوة البشرية.

فاذا سمعنا أن فى اللاهوت آب وابن فلا ينبغى ان ينصرف ذهننا بالمرة إلى مدلول هذه الألفاظ بحسب الاصطلاح البشرى لأن الله فى الحقيقة لا يلد ولا يولد بالكيفية التى ندركها. ولذلك فأن لفظة "ابن" لا يمكن أن تؤخذ على حرفيتها. وكم من كثيرين الذين لجهلهم يهزأون بالمسيحية ظانين أنها تعلم أن الله ولد كما نفهم نحن الولادة يجب حقا أن يهزأوا بأنفسهم لأنهم لم يعرفوا حقيقة تعليم المسيحية. فالآب ليس آب بالمعنى البشرى ولا الابن ابن بالمعنى البشرى. ومن ثم يجب استبعاد فكرة التوالد الجسدى وسائر الأفكار الخاصة بالبنوة البشرية كالتعاقب واختلاف المركز. فهو سبحانه منزه عن كل ما يرتبط بالولادة الجسدية!!

٢- **وقال آخرون أن المسيح ابن الله بالمعنى المجازى الاعتبارى : وهو قربه الشديد من الله فى المنزلة.** وهذا المعنى يستلزم سبق وجود الآب على الابن ولكن البنوة فى اللاهوت لا تشبه شئ مما فى الخلائق إذ ليس فيها ما يصح أن يُشّبه به الله كما قال الكتاب "بمن تشبهون الله وأى شبه تعادلون به" (أش٤٠:١٨) فتسمية أحد الأقانيم بالآب لا يقصد بها الأسبقية عن الابن أو أن الآب أكبر وأقدم منه لأن هذه الأعتبارات تصح فى المخلوقات على نوع ما ولكن حاشا أن ننسبها لله تعالى. ولذلك قال اثناسيوس : **"ولا تقدمن الآب من قبل الابن ولا تؤخره من بعده لأنه ليس فى الله أول وآخر".. بل كما يقول يوحنا الدمشقى : "أن طبيعة الله ووجوده فوق الزمن فلا يمكن أن يكون هناك ولادة فى اللاهوت فى الزمن الذى يرتبط بالمادة والتاريخ" ومن ثم فهى ولادة سرمدية بلا بداية وبدون نهاية!!**

إذاً فأن لفظة "ابن الله" لا تشير إلى علاقة زمنية كالاصطلاح المألوف بين الناس إذ تدل على أسبقية واختلاف فى جوهر شخصية الآب والابن، فليس الابن أحدث زمانا ولا أقل مقاماً من الآب لأنه ليس بمخلوق ولن يكون حتى أن قول شهود يهوه بأن المسيح خالق الكل يتناقض مع عقيدتهم فيه أن الله خلقه أولاً ثم امره أن يخلق هذه الخليقة وهم لهذا السبب يزعمون أنه اكتسب بذلك ألوهية مكتسبة تجلعه كموظف يقوم بوظيفته وفى ذلك منتهى الغرابة إذ كيف يكون المخلوق خالقا؟ وكيف يخلق هذا المخلوق نفسه أيضاً لأن الوحى يقول عنه : **"به كان كل شئ وبغيره لم يكن شئ مما كان"** (يو١:٣) فأى عقل فى الوجود يقبل ياترى

هذه النتيجة الغير منطقية لضلال شهود يهوه الشنيع!؟ إذ كيف يكون مخلوقا ويخلق نفسه وغيره من الخلائق؟

لأنه إذا كان الله "أبا" فلابد أن يعلن نفسه ويكشف عن ذاته فى "ابن" يكون مثله لأن الآب إنما يتضمن الابن وهو منه بولادة سرمدية فلن يكون الآب بدون الابن قط.

وهذا هو عين اعلان المسيحية : أى لم يكن هناك زمان كان فيه الآب ولم يكن فيه الابن لأن هذه نسبة أزلية أبدية ولا يمكن الكلام عن الله بكونه صار أبا لأن ذلك أردأ تجديف... أن الابن الأزلى كائن مع الآب الأزلى فأزلية الآب تستدعى أزلية الابن **ولولا وجود الابن الأزلى لما سمى الآب آبا.** وبذلك لابد لوجود تلك البنوة لأنه لم يكن الآب قط إذا لم يكن الابن فالفرق بين عقيدة أريوس ومن فى ركابه وعقيدة الكنيسة أن آريوس نادى بالبنوة المجازية الأعتبارية التى قال بسببها بعدم أزلية الابن وأنه ليس من جوهر اللاهوت. والكنيسة علمت أن الابن أزلى لم يتقدمه الآب لحظة واحدة **وأنه مولود من ذات جوهر الآب بلا انفصال أو افتراق برغم وجود التمييز فى اللاهوت الذى بموجبه يسمى كل أقنوم "عين خاص" أى وجوده متميز فى الجوهر الألهى المتحدة فيه الثلاثة الأقانيم فى جوهر واحد فريد وهذا الوجود المتميز هو مناط الاقنومية!!**

ومع ذلك فقد تخبط قوم من المحدثين من مختلف الطوائف فى أقوالهم عند كتاباتهم فى هذا الموضوع إذ فتحوا ناحية المعنى المجازى الأعتبارى للفظة "ابن الله" وفعلوا ذلك لتجنب المعنى الحرفى الجسدى... فقالوا أنه ابن الله بمعنى أن بينه وبين الله نسبة الابن وأن هذا اللقب للمسيح هو

مجاز واستعارة من لغة البشر. وهذا تعبير تقريبى وذلك وفى محاولة لادراك فهمها جعلوه يتناسب مع فهم البشر محاولين اثبات التسمية المجازية بينه وبين الآب فقط.. وقد عجزوا تماما عن إيجاد أى معنى لهذه التسمية التى وصفوا بها علاقة الابن بالآب والتى لايزال يصفها مؤلف كتاب : "أرنى اين قال المسيح" : "أنا هو الله" – فى صفحة (٢١) بان ابن الله الوحيد معناه "انه ليس له شبيه ولا نظير"! ومنهم من قال هذا التعبير تشبيه عاطفى من رسول المحبة تفسيرا لوجوده فى حضن الآب وأيضا قالوا بأن بنوته هذه مجرد اعتبار أدبى محض أى من الوجهة الأدبية فقط. كما قالوا : "أن هذه البنوة هى اعلان قلب الله فى محبته غير المحدودة كالآب" لذلك "فهو الابن لأنه يعلن الله بوسيلة ظاهرة فالآب قد ظهر فى الابن وهذا الاعلان يتضمن العمق والفيض واللطف والمودة. وكأن كلمة "ابن" أقرب تعبير فى اللغة عن كل ماقالوه وهيهات حتى وان انتقلوا من الانتساب إلى الاعلان!!

وإزاء الإدعاء بأن هذه الأفكار المنحرفة قد صدرت من العقل فهى باطلة ومرفوضة إذ لا يمكن أن أحداً من اتباع المسيح يؤيدها كما زعم بذلك أحد الباحثين المحدثين. **إذ أننا نحن المسيحيون لم نتبرع للمسيح بهذه التسمية الجليلة بل هى من صميم المعلنات الإلهية التى نستمدها من الوحى نفسه** وكان ذلك بالتلميح فى العهد القديم ثم التصريح فى العهد الجديد نقول ذلك مع اقرارنا بأن الأفهام قد تحيرت فى بيان كيفية ولادة الابن الأزلية حتى اعتبرها البعض أصعب عقيدة فى المسيحية فوضعها جانبا دون تسليم بقبولها مع وجوب التسليم بعدم امكانية تخطى العقل إلى

التفكير فيما يعجز عن التعبير عنه اعتبارا بما سار عليه المجمع النيقاوى نفسه **حيث اقتضى بالقول بولادة الابن قبل كل الدهور دون ايضاح كيفية ذلك تاركا للإيمان التسليم فيما لا يتناوله العقل ولا حكم له فيه إذ ليس هناك قياس قط لهذه البنوة الفريدة** فهى ولادة روحية لا مادية – لأن الله روح لا مادة – وهى من نوع فائق يقصر العقل عن ادراكه!! فليس من موجب لأن ينكر البعض قانون نيقية المجيد ويرفضونه بتاتا متسائلين عن النصوص الكتابية التى يستند إليها **لأننا مع تسليمنا بأننا لسنا ملزمين بأن نعتقد إلا بما هو مبنى على كلمة الله** مما يستوجب أننا لا نقبل العقيدة التى رسمها مجمع نيقيه فى ذلك العصر البعيد إلا اذا كانت تستند إلى كلام الله وهكذا الحال فى كل ما تفرضه المجامع العامة، **إلا أننا بعد الفحص الدقيق وجدنا أن قانون الإيمان يقبل هذا الأمتحان وقد شهد بذلك أثناسيوس** بقوله : أن آباء مجمع نيقية عندما صاغوا قانون الإيمان أبانوا بأنه لم يكن بحديث العهد بل هو نفس الإيمان الرسولى وأن ما سطرته أيديهم لم يكن من عملهم، بل هو الإيمان عينه المسلم من الرسل إلى الكنائس وقد وجدنا شواهده الكتابية كافية تماما لإثبات نصوصه فقد ثبت لها هذا التطابق عند الفحص الدقيق!!

٣- **وقال فريق ثالث أن المسيح ابن الله لولادته من العذراء مريم بدون آب بشرى** : ومرجع هذا الرأى إلى ما قال به الرازى فى تفسيره عن لفظة "كلمة الله" قال : "أن المسيح دعى هكذا لأن السبب المتعارف كان مفقودا فى حق عيسى عليه السلام وهو الأب" وبالرغم

من أن ولادته من العذراء ليس من زرع بشر بل بقوة الروح القدس وهو لذلك قدوس من ميلاده وابن الله يدعى ولكن ذلك ليس هو البنوة الأزلية. قول كهذا يشط عن جادة الصواب لأن المسيح كائن ابنا مباركا قبل أن تكون مريم فى رحم الوجود بل قبل أن يكون الكون كله لأنه موجد الوجود وخالق آدم ومريم. ومن ثم فأن للسيد المسيح ميلادان : ميلاد فى الزمان وميلاد قبل الزمان : ميلاد فى الزمان فى قرية بيت لحم من مريم العذراء وميلاد قبل الزمان فهو ابن الله لأنه الابن الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور مع أنه هو هو المولود من مريم العذراء فى بيت لحم زمان هيرودس. ومن ثم فان المولود من مريم العذراء هو ابن الله بالحقيقة. لقد ولد المسيح وليس له ابتداء وتجسد ولم يزل هو الكائن قبل الدهور والدائم إلى الأبد!!

فمولود بيت لحم وهو الكلمة المتجسد بل الله الذى ظهر فى الجسد هو ابن الله فى طبيعة وجوهره وليس لأنه ولد فى عرض الزمان ورؤى على الأرض فهو لم يحصل على البنوة بعد ارساليته وولادته من العذراء أو قيامته! إذاً ميلاد المسيح من العذراء وبالروح القدس لم يكن الميلاد الوحيد له فقد سبقه قبل بدء الزمان باسره ميلادا فائقا أزليا من الآب!!

هذا وقد أجمع الشرع على أن الولادة نوعان : فمنها ولادة كثينة جسدية بمباضعة وتناسل (وهى لا تنسب لله قطعا) ومنها ولادة روحية من غير مباضعة ولا تناسل ولا تقديم ولا تأخير ولا انفصال ولا افتراق بين الوالد والمولود. **فعن هذه الولادة الروحية بمقدار ما استطاع مجمع نيقية أن يعبر عنها جاء هذا التشبيه بأنها كولادة النور من النور** : ويدل هذا

التعبير على أن المسيح هو الأشعة الساطعة لذلك النور الذى لا يدنى منه ومن ثم فأنه ليس مجرد أشعة منعكسة لذلك النور بل فى وصفه بأنه "بهاء مجده" نجد معنى أنه "بهاء بذلك النور" وهو الذى به تجلى فى "الصورة الشبهية" ثم وصف فى "الصورة التجسدية" بأنه "الأبرع جمالاً من بنى البشر".

ولهذا قال أثناسيوس : **"من ذا الذى تجرد من العقل حتى لا يرى بهاء ذلك النور وأشراقه"** ووصفه ملتون بأنه **"هو الذى ترك لمعان النهار الأبدى مفضلاً أن يسكن معنا فى ظلمة منزلنا الترابى ليشرق علينا".**

ولا غرابة إذا فى أن يكون المسيح هو نور العالم ومصباح أورشليم السمائية مدينة الله فهو مركز توزيع النور الأبدى للمؤمنين السائحين فى الغربة الآن كما أنه الكائن النورانى للقديسين الذين أنتقلوا إلى منازل الخلود السعيد – وهو الذي يضئ كالشمس فى قوتها سينير المدينة داخلا وخارجا فتكون كمنارة لامعة لا يخفت ضوءها وهو مما يبهر العيون الحالية الأمر الذى من أجله ستكون للمفديين عيون جديدة يرون نوره بها!! فضلا عن وصفه بالنسبة للزمان بانه "النور الحقيقىط و"نور العالم" و"نور الحياة"!!

أما القول التابع للوصف السابق وهو "إله حق من إله حق" فأن ذلك أيضا يدل على أن ولادته إنما هى بكيفية لا يمكن ادراكها مما يعنى أن طبيعة الابن هى ذات طبيعة الآب لأنه من الذات الألهية ومن الجوهر الإلهى فهو لذلك واجب الوجود لأنه فى واجب الوجود ولكون أنه أن كان معنى "ابن الإنسان" هو "انسان تام" كذلك يكون معنى ابن الله هو "إله تام".

٤- **وقال فريق رابع أن المسيح ابن الله بالمعنى العام الذى يشمل الملائكة والبشر كافة :** والبنوة الإلهية بالمعنى العام قد وردت فى مواضع متعددة من كتب الأنبياء فجاء فى سفر أيوب "أن الملائكة هم بنو الله" ووردت كذلك فى المزامير حيث قيل "قدموا للرب عزاً يا ابناء الله" (٢٩) "ومن يشبه الرب بين ابناء الله" (٨٩) كما وردت فى كلام موسى لفرعون عن بنى إسرائيل بقوله : "دع ابنى يخرج" ووردت فى هذا المعنى فى سفر التثنية أنتم ابناء الله (١٤) وأشير إلى الشعب كله بأنهم ابناؤه وبناته (٣٢) وكذلك وردت فى هوشع "أنتم ابناء الله الحى".. ووردت فى العهد الجديد باعتبار أن كل ولادة من الروح هى بنوة لله...

ولكن شتان بين هذه البنوة العامة التى تفيد علاقة الله تعالى بخليقته الحية العاقلة لتكون على صلة به هى صلة الآب بابنه والابن بأبيه لا فرق فى ذلك بين خليقة السماء من الملائكة القديسين وبين خليقة الأرض من البشر المفديين وغيرهم وبين بنوة المسيح لله ولكن كما يكشفها لنا الكتاب المقدس فأننا نجد لهذه البنوة معنى خاصا ممتازا يختلف كل الأختلاف عن المعنى العام الآنف الذكر إذ هو يتجاوز مجرد العلاقة الأدبية أو الروحية إلى ما هو أعمق وأدق الأ وهو معنى الوحدة التامة فى الله الآب وابنه الوحيد والشركة الكاملة معه فى كل ما له من قوة وحكمة ومجد وسلطان وقد أعلن المسيح ذلك بقوله : **"أنا والآب واحد"** (يو ١٠)!!

وعلى هذا الاعتبار تكون بنوة المسيح له المجد لله الآب هى بنوة

خصوصية شخصية غير بنوة الناس والملائكة. **فهذا الأسم هو حقه الشخصى الذى يتميز به عن الملائكة والبشر أجمعين وهو لقبه الخاص به الذى يدل على طبيعته الإلهية!!**

ونلاحظ أنه مع دعوة الملائكة جملة ببنى الله ولكن لم يخاطب واحد منهم بالقول : "أنت ابنى" فهذا القول لم يذكر أنه على وجه التخصيص إلا للمسيح وحده فهو الذى اختص به بوجه مطلق إذ أنه هو الذى ورث اسما أفضل منهم – أى أنه هو المالك فى ذاته وفى حدود حقه الشخصى لاسم الابن وهذا الحق أيضاً هو حقه الوراثى (عب١) لا ينازعه فيه أحد على الإطلاق!!

وأما من جهة البشر فقد ضيق المسيح هذا اللقب وحدده فكان يتكلم به عنه وعن نفسه فقط ودائما بالعلاقة مع الآب بالقول "أبى" ولم يقل "أبينا" ولا مرة وحتى عندما علمهم صلاة "أبانا الذى فى السموات" نجده يقول وأما أنتم فمتى صليتم قولوا "أبانا" وأن لم تغفزوا لا يغفر لكم أبوكم ولا يقول أبينا. فهو ابن الله بطبيعه لاهوته لا بالتبنى مثلنا ولذلك لم يرد هذا اللقب عنه بصيغة الجمع ولا مرة واحدة حتى يكون مقترنا بالبشر باعتبارهم قد صاروا ابناء الله.

لذلك فقد ميز بنوته عن بنوتهم وذلك قبيل قيامته وصعوده بقوله: انى صاعد إلى "أبى وأبيكم".

ومن ثم فان أبوة الله للمسيح ليست كما ظن البعض بجهالة بانها من قبيل أبوة الله لجميع البشر. لأن آدم قد سمى ابن الله ونحن ندعو الله أبانا الذى فى السموات **ولكن ذلك ليس على مستوى بنوته الفريدة التى**

تخصه وحده دون سواه!! فليس فيها من يشبهه أو يساويه قط!!

ولذلك فما أبعد الفرق بين بنوة المسيح وبنوة الإنسان لله : تلك بنوة طبيعية وهذه بنوة نسبية، تلك بنوة حقيقية وهذه بنوة مجازية. فالمسيح سمى ابن الله للدلالة على أنه من طبيعة الله وجوهره. أما الإنسان فحاشا أن يكون ابنا لله بالطبيعة والجوهر وإنما هى بالفضل والأنعام فهو ابن الله بالطبيعة أما نحن فابناء الله بالنعمة.

* *

هذا هو الذى تكون جسده الطاهر من العذراء مريم بالروح القدس وهو بعينه الذى قاده الروح إلى البرية ليُجَرب بارادته من الشيطان ... أما تفسير بعضهم لعبارة "شركاء الطبيعة الإلهية" بانها تعنى "تأليه المؤمنين" الذى يصلوا فيه إلى "تأليه الكنيسة" الأمر الذى يتصورون به انهم صاروا جزءا من اللاهوت وهم غير معرضين قط للهلاك لأن ربنا ما يهلكش نفسه فانما ينكرون بذلك لحقيقة ان التجديد المقدم فى المسيحية ليس سوى "خليقة جديدة" فلا مكان للوهم بانهم قد أصبحوا بها بلا خوف ولا خطر ... مؤلهين أى جزء من اللاهوت وهذا حقا تجديف!!

ولذلك يجب أن يكون عندنا بصيرة بها نتفادى التعاليم المضللة غير المستقيمة ونسلك بالايمان حتى نصل بسلام!! محافظين على واقعنا باننا كائنات مخلوقة وحاشا ان نتجاوز حدودنا فندخل فى اللاهوت العظيم المنزه عن الحدوث وادخال الغير فى كيانه!!

* * *

الفصل الثانى

الفهم الصحيح لتسمية يسوع المسيح بابن الله

"أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه لأنه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضاً ان الله أبوه، معادلا نفسه بالله" (يو٥: ١٧،١٨)

وإذا أردنا أن نفهم التفسير الصحيح لهذا التعبير "ابن الله" فعلينا أن نقابل بينه وبين التعبير الآخر "ابن الإنسان" ويراد به أن المسيح إنسان تام – ما خلا الخطية – فهى لفظة تؤكد لنا ناسوته الحقيقى ونحن على هذا النحو نقول أن لفظه "ابن الله" تفسيرها "إله تام" (يو٥:١٨)

وهى خير تعبير يؤكد لنا لاهوته الحقيقى ويعرفنا قدر المستطاع عن العلاقة الكائنة بين الأقنوم الثانى والأقنوم الأول وهى علاقة المساواة والمعادلة.

ولقد فهم اليهود من هذا التعبير أنه دليل لاهوته ومساواته بالآب وهو لم يحسبهم مخطئين فى ذلك بل رفض أن يتزحزح عن الأعتراف به حتى أمام الموت وبذلك أقر معادلة نفسه بالله كما فهمها معاصروه **"فالابن" هنا تعنى "عين الشئ أى الشئ ذاته" فكما أن ابن الإنسان هو الإنسان كذلك يكون ابن الله هو الله! لذلك قال الابن : "أنا والآب واحد" فهو "ابن" لوحدته المطلقه بذات الله!**

فهذه البنوة إذا هى نسبة طبيعية أزلية نسبة التكافؤ والوحدة مع الآب فى الطبيعة والصورة الجوهرية – فضلا عن أنه تميز بالصورة الشبهية

التى أختص بها حتى يمكنه بها أن يرى الناس الله تطبيقا لقوله : "أن من رأنى فقد رأى الآب"!!

وذلك لأن بنوته الفريدة هذه إنما تعنى تمام الوحدة فى الطبيعة والصورة الجوهرية وكمال التكافؤ والتماثل والشركة فى كل ما للآب من حكمة وقدرة ومجد وكرامة وسلطان وقد أعلن هو عن ذلك بقوله : "**أن كل ما هو للآب فهو لى**" وبذلك أستطعنا أن نقرر بابن الله اسم سام يدل على طبيعته اللاهوتية لأن مدلول البنوة يفيد وحدة الطبيعة ووحدة الصفات أيضاً رغم أختصاصه بالتجلى والتجسد!!

أن المعنى العبرى لكلمة "ابن" يفهم منه "الوحدة الروحية" و"الصلة الضرورية" و"كمال الظهور" فهى تعنى أنه "صورة الله" غير المنظور فالبنوة تتضمن المشابهة فى الصفات والأخلاق والطبيعة كما تدل على الكرامة والمقام والأمتياز (مز٧٢:١٧) ظهرت هذه كلها فيه عند ظهوره بين الناس!!

فالابن عادة يمثل أبيه لأنه متفق معه فى الطبيعة والصفات ولا يعتبر دون أبيه بل مساويا له. وهذا المعنى يتفق مع قصد الكتاب فى استخدامه لكلمة "ابن" ولذلك قد وصف أيضا بأنه "صورة الله" لحمله معه الصورة الجوهرية!! فهو ليس ابن الله باى مدلول جسدى أو معنوى بما تحمله هذه اللفظة فى المعنى اللغوى مثل :-

١- الولادة الجسدية.

٢- الخلق من الله.

٣- التبنى الذى به يدعى جميع الصالحين ابناء الله.

٤- الأستيطان كابن مصر.

٥- وكذلك ليس هو ابن الله لحدوث فيض فى اللاهوت كان سببا فى تسميته هذه وإنما هو ابن الله لأن فيه كل صفات الله ولأنه "صورة جوهر الله وبهاء مجده" وفيه "كل ملء اللاهوت".

وإذا كان السيد المسيح له المجد قد سمى نفسه "بابن الإنسان" أو "ابن البشر" فهو من قبيل الأتضاع ولأنه لبس صورة الناس فى تجسده المنيف **ولكننا وجدنا القول ابن الله يرد على لسانه فى أقواله التى سجلها الإنجيل مما ينفى عنه الزعم بأن تسميته نفسه "ابن الإنسان" أو "أنسان" لا يعنى قط أنه تفرغ من لاهوته أو تخلى عن ذاته كتفسير الليبراليين الذى حطوا من مقامه فهبطوا به درجة وأكثر عن اعتقاد المسيحيين فى بنوته هذه منذ فجر نشأة المسيحية!!**

لأنهم قد فتحوا الباب للبعض بأن يتحاججوا بزعم أن كانت البنوة بالنسبة للمسيح فى معناها الكامل فأنها تجعله أقل! والخيبة هنا ترجع إلى الأصرار على تطبيق التشبيه المجرد فى البشرية المتضمنة فى البنوة وكذلك تفاسيرهم الأخرى وإنما نحن فى أمان داخل إعلان الآب والابن الأمر الذى هو جوهر المسيحية!!

أما المعارضون فقد تمسكوا بالقول الوارد فى (يوحنا٥) "بان الابن لا يقدر أن يعمل من نفسه شيئا" وتتحول عن القول الآخر وهو : "لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك" – الاولى قد نشم فيها رائحة العجز فى قوله "لا يقدر فيتلقفها الليبراليون هى وامثالها ونسبوا إليه" العجز تفسيرا لوصفه بانه اخلى نفسه = ولكن العبارتان معا تتكاملان دون تناقض

لأنهما تظهرا بوضوح مساواة عمل المسيح لعمل الآب فى مداه – فهذا لا يشير إلى عجز بل إلى وحدته مع الآب التى لا انفصال فيها قط!! فهو لا يقدر أن يعمل شيئا من نفسه بمعزل عن الآب – لأنه فى اتحاد كامل بـــه ولذلك قال ذهبى الفم : "ان لا يعمل من نفسه شيئا ليس قول مـــن يلغـــى سلطانه بل اعلانا عن المساواة المطلقة غير المتغيرة بينه وبين الآب فى القدرة والمشيئة" وفى سائر الصفات الإلهية التى جـــاءت مطبقـــة علـــى الأقانيم مما يؤكد استحالة التجزئة فى الجوهر الإلهى وبالتالى ففى التقسيم فيما بين الأقانيم لأن الذات الإلهية متوحدة بجوهرها الخاص بها وذلـــك مما يمتنع معه القول بالتركيب والانفصـــال لأن ذلـــك يُـــدخل الحـــدوث والتغيير على الله سبحانه لأن أى من هذه يفيد تعدد الـــذوات أو تجزئـــة الذات وكلاهما ممتنع فى حق الله سبحانه!!

واننا كمسيحيون قد سلمنا بالحقائق المعلنة بالوحى المعصوم فى كتاب الله "الكتاب المقدس" وقد قبلناها باتضاع وارتياح تامين بفعـــل الايمـــان، الذى اخضعنا به عقولنا لتقبل "الإعلان الإلهى" بموجب السلطان الإلهـــى الذى اعلنها، وما كان بالامكان ان نعرف عنها شيئا بدون ذلك الإعـــلان ولهذا لا نجد عذرا لمن يكابر فى الأمور الإلهية التى أعلنها الله عن ذاته إذ كيف يحاول المخلوق أن يدرك خالقه وهو رب العالمين مالك الوجـــود المطلق والذى فى جوهره الواحد توحدت اقانيمه فيه!!

• • •

الفصل الثالث

خلاصة الأقوال الإيضاحية عن بنوة المسيح لله

"مولود منه بغير انفصال فهو منه
وفيه ومعه كما أعلن الإنجيل تماما".

ونراها فيما يلى :

١- **أن هذه البنوة بنوة روحية وليست مادية** : وذلك لأن الله روح لا مادة. فهو ابن بالمعنى الروحى الذى يقصر العقل عن ادراكه بأكثر مما قال به مجمع نيقيه من أن المسيح تسمى بالابن لأن له ذات طبيعة الآب. وأما ولادته منه بمقدار ما أستطاع المجمع أن يعبر فهى "كولادة النور من النور" ولم يتعرض لبيان كيفية هذه الولادة بأكثر من ذلك لأنها أسمى من كل ادراك. وقصارى القول أن هذا المجمع الذى رفض ضلالة آريوس قال بأن الجوهر الإلهى هو للابن بالولادة الفريدة بدون أن يخضع ذلك الجوهر لأى تقسيم! مع نفى المشابهة الآريوسية التى اراد آريوس بها أن ينفى المساواة سالفة البيان!!

٢- **إن هذه البنوة بنوة أزلية وليست زمانية** : ففى عالم الإنسان يجئ الولد فى زمان الوجود متأخرا عن والده، وليس كذلك "كلمة الله" فهو قائم فى الذات الإلهية منذ الأزل. ولا يمكن أن نتصور الله موجودا لحظة ما بدون كلمة وإلا فلا يكون الله عاقلا وبالتالى لا يكون موجودا **ولذلك لابد ان يكون لله ابنه عقل. ولقد كان الآب فى جوهر كيانه قبل انشاء العالم آبا بالنسبة للابن وكان الابن فى جوهر كيانه**

ابنا بالنسبة للآب مساو له وأزلى منه ومتميز عنه إذا فحقوق الابن أزلية لأن هذا الأسم الإلهى غير قآبل للتحويل أو الأنتقال كقول أشعياء عنه "**بأن هذا أسمى ومجدى لا أعطيه لأخر**". **إذا فبنوته يجب أن تكون أزلية فى اللاهوت وغير متغيرة لأن التغيير فى اللاهوت مستحيل** ومن ثم فأن مجرد أعلان البنوة فى العهد الجديد لا يعنى بدئها فيه.

٣- **أن هذه البنوة اتصالية وليست أنفصالية** : ففى عالم الإنسان أو الحيوان يولد الطفل فينفصل عن أمه ويصبح كائنا جديدا له جوهر خاص وكيان خاص ووجود مستقل عن أمه وأبيه. **وليس كذلك "كلمة الله" فهو قائم فى الذات الإلهية قياما ذاتيا جوهريا منذ الأزل وإلى الأبد من غير أدنى انفصال أو افتراق لا قبل التجسد ولا بعده.** وهل يمكن أن نعقل زمانا يكون الله فيه من غير كلمته أما كيف يكون الابن من الآب وفى الآب ومع الآب، فهو منه بدون بروز أو خروج وفيه لوحدته فى وحدة اللاهوت ومعه كأقنوم ودليل هذا كله أنه يحمل اسم الجلالة "الله" وهذا من أسرار اللاهوت التى لا نتطاول إليها بعقولنا القاصرة ولكن الوحى الذى أعلنها عنه معصوم تماما!!

٤- **أن هذه البنوة مع ذلك كله بنوة حقيقية طبيعية وليست رمزية أو مجازية أو نسبية** : فليست هى من قبيل قولنا عن آدم أنه ابن الله أو من قبيل ندائنا لله "أبانا الذى فى السموات" وفارق عظيم بين ابن بالتبنى والفضل وابن بالطبيعة والجوهر. **وبنوته هذه من الخطأ أن نحاول أن نوجد لها تعليلا أو نتساءل قائلين لماذا تسمى بالابن؟ لأن**

هذه البنوة هى ولادة طبيعية فى الجوهر لا توجد فيها إرادة أو مشيئة ونحن ندرك بصيصا عنها على قدر ما أمكننا الوصول إليه من معرفة!!

٥- **أن هذه البنوة بنوة فريدة منقطعة النظير** : ليس لها فى عالمنا أو فى عالم جميع الكائنات شبيه أو مثيل ولذلك قيل بشأنها أنه "ابن الله الوحيد" ومعناها "المولود الوحيد" أو "الابن الوحيد الجنس" هذه هى الترجمة الحرفية لها وقد وردت هكذا فى لغات أخرى فلا شركة لهذه البنوة مع غيرها إلا فى اللفظ والمبنى دون المعنى. **وهذا من قصور اللغة من جهة وقصور الأدراك البشرى من جهة أخرى.**

ولفظه "الوحيد" تحمل معنى "الفريد" أى الذى لم يشهد العالم قط آخر نظيره. فهو ينفرد متساميا فوق الجميع. **ومن ثم فأن من وصفه هذا بابن الله الوحيد اختلفت بنوته عن بنوة الملائكة والبشر لله تعالى** فهى بنوة قد تفرد بها ولا يشاركه فيها أحد. تدل على أنه كائن مع الآب فى جوهر واحد منذ الأزل وإلى الأبد فى نسبة داخلية سرمدية **هى علاقة حقيقية سرية بينه وبين الآب تدل على المحبة الخاصة ووحدة الطبيعة الإلهية والمعادلة فى الأقنومية والأزلية والعمل والمقام الإلهى ثم تتضمن سرية الشخصية.** فهذه التسمية هى للدلالة على علاقة سرية غير مدركة وأما كنه هذه العلاقة فلا سبيل إلى معرفته ولو عرفناه فلا سبيل للتعبير عنه إلا بهذه الألفاظ البشرية المحدودة القاصرة بالنسبة إلى الحقيقة الجوهرية **وبهذه الولادة الفريدة قد تميز عن البنوة العامة للكائنات بل أيضا هى مناط تمييزه الأقنومى** فهى لفظة تدل على الخاصية التى يتميز بها "الابن"

فى اللاهوت منذ الأزل إذا تسميته بابن الله الوحيد يعنى أنه بالنسبة لبنوته هذه لا يليق أن نعبث بها **وإذا لا محل لظن البعض بجهالة بأن إبوة الله للمسيح هى من قبيل إبوته لخليقته الحية العاقلة من الملائكة والبشر** إذ ما أبعد الفرق بين البنوتين فان : بنوة المسيح طبيعية. وأما بنوة المخلوقات له تعالى فنسبية تلك البنوة حقيقية وأما هذه فهى بنوة مجازية. تلك بنوة أزلية تدل على أنه من طبيعة الله وجوهره أما الإنسان فحاشا أن يكون ابنا لله بالطبيعة والجوهر وإنما بنوة الإنسان بالفضل والإنعام أى بالنعمة.. وهى أيضا محدثة زمانية والفرق عظيم بين ابن بالتبنى والفضل وابن بالطبيعة والجوهر.

وهنا من المتفق عليه بين جميع المسيحيين بالحق فى مختلف طوائفهم بما فيهم من تشعبت تفاسيرهم وخاصة فى مسألة "المولود" بل وكما شهد العقاد نفسه بقوله : **"بأن بعضهم قال (عن المسيح) أنه ابن الله على المجاز بمعنى القرب والأيثار على سائر المخلوقات وقائل بأن السيد المسيح هو ابن الله على الحقيقة التى يفهمها المؤمن على نحو يليق بالذات الإلهى!!**

• •

ولقد كان آريوس المبتدع أول من نادى بالبنوة المجازية وأن الابن ليس من جوهر الآب لأن ذلك حسب ما ارتأى يخالف مبدأ الوحدانية – ولكن مجمع نيقية قد حسم هذا النزاع الجسيم – الذى سببته تلك الضلالة – فقرر بأن المسيح تسمى "بالابن" لأنه مولود من ذات جوهر الآب **وأعلن بذلك بأن الجوهر الإلهى هو للابن بالولادة الفريدة بدون أن**

يخضع ذلك الجوهر لأى تقسيم كما جاهر بأزلية الابن معلنة أن ولادته من الآب أزلية قبل كل الدهور بدون تقدم الوالد على المولود!! وذلك استنادا إلى أن لفظه الوحيد ترجمتها الحرفية "المولود الوحيد" – وهذه الولادة لا تعنى أن الله أوجده لأننا رأيناه كالموجود عنده والمساو له أيضا وليس كما يقول أهل التوحيد بأن الله أوجده بكلمة "كن" لأنها كلمة قيلت فى ايجاد الكائنات المخلوقة فقد وجد كل منها بكلمة "كن" فكان **أما نسبتها للمسيح فهى وقوع فى حقه ذاك الذى وصفوه بالوجيه فى الدنيا والآخرة!!**

ومما أوصلنا إلى القول بصحة تفسيرنا بنوته هذه لله انه إذ هو قائم فى الله ذاته أزليا والله هو العقل السرمدى الكائن معه الكلمة منذ الأزل فالابن لذلك هو كلمة ذلك العقل – **مولود منه بغير انفصال فهو منه وفيه ومعه كما أعلن الإنجيل تماما!!**

أما الأختلاف الذى نشأ بسبب تعليم آريوس فقد بقيت آثاره حتى الآن ليس فقط فى خلفائه وهم من أبشع الفرق المستحدثة الضالة بل وأيضا فى تضارب علماء اللاهوت وعدم اتفاقهم وتشعب تفاسير المذاهب المسيحية وتناقضها بعضها لبعض مما يجعل الوقوف عند حد قانون الإيمان القديم ضرورة حتمية لا محيص عنها!!

* *

أن لفظة الابن يظنه البعض بشرية ويظنون أنهم يكرمونه برفعها عنه كلقب إلهى. أنهم يقرون أنه ابن الله باعتباره القدوس المولود من العذراء مريم ولكن بنوته الأزلية لا يعترفون بها. ولكن بدون ذلك كيف يظهر

مجد وحيد الآب الذى فى حضنه وإلا أن كان ليس هناك ابن من قبل فلا يكون بالضرورة هناك آب. لأن من ينكر الابن فليس الآب معه لأنه ينكره "لأن كل من ينكر الابن ليس له الآب أيضا. ومن يعترف بالابن فله الآب أيضا" (١يو ٢:٢٣).

فهل يقال عن واحد أخر أنه ابن الله بالمعنى الذى به نقول عن المسيح أنه "ابن الله" مع أن التعبير "الابن الوحيد" يدل على أنه كان وحده منذ الأزل مع الله، ازلى مع ازلى دون أن يكون معهما أى من الكائنات المخلوقة!!

ولذلك ينفرد الرب يسوع بهذا الأسم "ابن الله الوحيد" والمقصود بلفظة "الوحيد" هو أنه هو الابن الأزلى وحيد النوع والجنس الذى لا يدانيه أو يساويه أو يشاركه أحد فى بنوته. فهو الابن الوحيد بالنسبة إلى مجد جوهره كمعادل لله وقد أشير بعضهم إليه أيضا بأنه "ابن محبته" أى محبوبة وفى وصفه بأنه ابن الآب بالحق والمحبة معنى أنه محبوب الآب بالحق والمحبة، ومعنى ذلك أن الابن يتضمن محبة اللاهوت (لأن الله محبة) إذ هى متجهه إليه ومستقرة عليه فالابن موضوع المحبة **وهل كان يمكن أن يكون هناك حضن الآب أو بيت الآب بدون ابن محبة الآب؟** فابن الله الوحيد هو نفسه ابن محبته!

أن لقب "الابن الوحيد" يدل على علاقته الفريدة بالله خارج حدود الفكر البشرى وبلا أشارة لأى الكائنات المخلوقة...

وبالنسبة لكون المسيح هو المولود الوحيد من الآب فهو وحده الذى يستطيع أن يخاطبه بالقول "أبى" أما نحن فأننا نخاطبه بالقول "أبانا" فهو ابن الله بمعنى خاص ممتاز ليس له فيه شريك وهذا هو معنى لفظة "الابن الوحيد".

٦- **وأخيرا هذه البنوة غير مدركة للخلائق** : ويقينا لا يعرف أحد الله إلا الله نفسه، ولذلك فمن المنتظر أننا نحن البشر بل وحتى الملائكة ولذلك فانه لن يمكنا ولن يمكنها أن تفهم ماهية تلك البنوة تماما **ولا بأى وجه هى وبأية كيفية لأنها فوق الأدراك.** ونحن لا يمكنا أن نعرفها من أنفسنا ولا نعرف أكثر مما أعلنه الله عنها. أن العالم بأسره عرفوا أن البنوية الحقيقية هى المتكونة بنطفه الآب وأن لها بداية **ولكن لا يقدرون لا هم ولا الملائكة أن يعرفوا حقيقة بنوية المسيح لله من جهة اللاهوت ولا سبب تسميته بابن الله ولا كيفية بنوته لله وذلك لأنه لم يكن واحدا منهم موجودا منذ الأزل مع الله حتى يعرف ذلك.**

ومن ثم فانه عندما تكلم وأعلن صفة ابنه فانه يستعمل أفضل ما عندنا من تعبير وهو لا يعنى ببساطة أنه إنسان ولد من امرأة كما اعتدنا نحن أن نفهم ذلك من نفس اللفظ. بل أنه وحده ابن الله الوحيد!!

والأقرار بالبنوية الأزلية يأتى أولاً لسبب أزليته، ويليه الإعلان عن ولادته الزمنية من العذراء التى أظهرته فى طبيعته البشرية...

ويتضح من مقابلة النصوص أنه حتى الناسوت المولود من العذراء يدعى "ابن الله" ولكن ذلك ليس هو الولادة الأزلية التى هى له قبل أن تكون مريم فى رحم الوجود قبل أن تظهر ربوبيته لأنه موجد الوجود وخالق آدم ومريم وهو "رب الكل" وخاصة بعد أن تجسد وظهر بين الناس!!

إذ شتان بين ولادته من أم طبيعية وهى العذراء – بالجسد فى الزمان

- وولادته الأزلية من الآب وهى سرمدية دائمة!! مما ينفى الأدعاء بأن بنوة المسيح بدأت فى تجسده استنادا إلى الأعلان عن ناسوته المولود من العذراء وكونه يدعى ابن الله (لو ٤:٣٥) الأمر الذى أعلنه العهد الجديد أرتباطه بالقيامة **لأننا سنأخذ عبارتى النص معا نجد أن ذاك الذى دعاه الآب ابنه فى الأزلية المطلقة أستمر مقيما فى هذه العلاقة البنوية عندما ولد فى عرض الزمان أى أنه تجسد مع أحتفاظه بكل ما كان له كالابن فى اللاهوت** دون أن تكون مريم أقنومًا فى اللاهوت رغم عبادتها فى القرن الخامس التى ابطلتها الكنيسة ولكنها عادت إلى تكريمها القريب من عبادتها حاليا فى المجال الذى يدمج التقليد فى الكتاب!!

إذ أن ولادة الابن فى اللاهوت أزلية لا دخل للزمن فيها أما عن الولادة الزمنية يوم ولادته بين الناس فهنا نجد أن هذه الولادة الزمنية ناتجة عن البنوة الأزلية ومؤسسة عليها **فهو لم يبدأ ليكون الابن عند تجسده، ولا لأنه ولد من غير أب. مما يحتم أن يكون الله أبا له بكل أن بنوته الأزلية لم يحدث لها تغيير بسبب ولادته فى الزمن.** فلما ولد فى الزمان كان هو الابن الأزلى بعينه كما كان من قبل ابن الله بولادته الأزلية - ومن ثم فأن هذا الذى يقولونه عنه مما سبق سرده وهو قول مستنبط خطأ بأنه قد ولد فى هذا العالم من العذراء بعمل الروح القدس لذلك فهو ابن الله أى أنه صار ابن الله بولادته الزمنية وفى ضوء هذا كله نجد أن بنوته إذا بنوة روحية عقلية كيانية ذاتية أزلية أبدية بها يحمل "كلمة الله" جميع "صفات الله" و"كل ملء اللاهوت".

ومن ثم فان هذا قول يجافى الحقيقة **لأنه وأن كان هو المولود من**

العذراء حقا محدثا فى الزمان إلا أنه هو بعينه قديم الأيام.. الذى لم يطرأ على بنوته الأزلية أدنى تعبير!!

فان ذاك المولود من مريم هو ابن الله بالحقيقة ولكنه لقد ولد من مريم وليس له ابتداء وتجسد ولم يزل هو الكائن قبل الدهور والدائم إلى الأبد : فمولود بيت لحم هو ابن الله بطبيعة الجوهر، دون أن يحصل على بنوته هذه بعد أرساليته وولادته من العذراء!!

وذلك لأن ميلاده من العذراء بحسب الجسد – لم يكن الميلاد الوحيد له– فهو ابن الله من قبل التجسد وأتيانه به إلى العالم – فقد أرسل الله ابنه المقيم معه فى ملء الزمان مولودا من إمرأة (غل٤:٤) **وهذا يعنى أن ابنه كان معه فى أزل مطلق قبل أن يرسله وقد أعلن عن بنوته الأزلية هذه فى المزمور الثانى بقوله له : "أنت ابنى"** وكان ذلك بمرسوم إلهى مطلق وفى غير زمان، كما أنه ابن الله بحسب الطبيعة الناسوتية التى أتخذها لنفسه فى الزمان!!

* *

ويرى البعض من العبارة الواردة فى المزمور الثانى "أنا اليوم ولدتك" بأن لفظة اليوم قول على الدوام ونفى الزمان لأن كافة الأيام عند الله تقال عن "اليوم الحاضر" على أن الله بإعلانات عديدة يحقق لنا أن هذا الحاضر هو السرمدية بعينها (يراجع كتابنا السرمدية والزمان) على أن هذا القول الوارد هنا ما قيل عن إنسان قط!! بل عن "الابن" الذى وروده – أى ولادته هذه أزلية ليس ابتداء لها... وهى بريئة من القبلية والبعدية لأن كلا الآب والابن معا فى الوجود الأزلى الذى لا ابتداء له ولا انتهاء

ولم ينفصل أقنومهما رغم التمييز بينهما... ولذلك فان هذه الـولادة مـا يحدها زمان بما أنها قبل كل زمان وليس فيها إرادة أو مشيئة وإلا كـان لها علة فى وجودها... بل هى والأنبثاق فى الجوهر الإلهـى بطبيعتـه ولذلك فانهما استلزام وجودى لواجب الوجود أى أنهما موجودان فـى الله بطبيعة الجوهر!! وهذا هو الايمان الصحيح لمعنى "ابن الله الوحيد" مما لا تستحق معه أى تفاسير أخرى مخالفة أن تبقى لأنها لم ترتقى لكى تصيب هذا الهدف الذى اثبتناه من نصوص الكتاب عقليا ومنطقيا!!

واننا لفى دهشة لرفض بعض المذاهب المسيحية لقانون الايمان ولو اننا ما كنا نقبله لولا اننا شرحناه فى جزء من اجـزاء كتابنـا المعنـون بايماننا فى الإلهيات ورأيناه مؤيداً من كلمة الله ومع ذلك فان قبوله كعامل مساعد وتقديره ممكنا من الكنيسة الأولى ضد هرطقة أريوس التى نفـت عن الابن ولادته من الآب وزعمت بان وجوده قائم على "المشـابهة" لا "المساواة" فجاء فى ذلك القانون عبارة "مساو للآب فى الجوهر" وتفسيرها انه "ذو جوهر واحد مع الآب" ولا غرابة إذاً فى قوله عن نفسه "أنا والآب واحد" وأيضاً "فان من رآنى فقد رأى الآب" وهو لذلك الذى له باقنومـه الإلهى لاهوتا لا تراه العيون ولا تدركه البصائر وناسوتا به جعل الإلـه منظوراً.

• • •

الفصل الرابع

شهادة الكتب المقدسة لبنوية ابن الله

"إنى اخبر من جهة قضاء الرب
: قال لى : أنت ابنى" (مز ٢:٧)

ولم تكن المسيحية هى أول من أعلن عن المسيح بأنه "ابن الله" فقد ورد ذلك عنه فى عدة مواضع من الكتاب المقدس وفيما يلى نقدم شواهد كتابية عن "بنوة المسيح" هذه نواجه بها من يعارضونها وأيضا من يتشاحنون حولها، وأولئك الذين قد جهلوها فقدموا عنها تفاسير خاطئة تعرضنا لها فى هذا البحث الفريد.

وعند التحقيق وجدنا أن الرب يسوع المسيح دعى "ابن الله" أربعين مرة فى كلمة الله – و(عدد ٤٠) هو رقم الامتحان!!

وعلى وجه التحديد "ابن الله الوحيد" فى العهد الجديد تمييزا له عن الملائكة والبشر وقد أعلن هو عن نفسه أنه "ابن الله" وهو الصادق الأمين الناطق بالحق!!

كما شهد له الآب والقديسين والخطاة والشياطين والملائكة له، بأنه ابن الله وهذا البرهان تام فى حد ذاته وغير قابل البتة بان يدحض أو ينقض!؟

أولاً : أما أنه ابن الله بالطبيعة والجوهر فهذا يتضح **من نداء الآب** من السماء مشيرا إلى الابن الصاعد من نهر الأردن : **"هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت"** وقت المعمودية وأيضا **"هذا هو ابنى الحبيب له أسمعوا"**

وذلك على جبل التجلى كما يتضح من بشارة رئيس الملائكة جبرائيل به بالقول : "**فالمولود منك قدوس وابن الله يدعى**" فضلا عن قول ربنا يسوع نفسه عن ذاته من أنه ابن الله الوحيد وهكذا شهدت عنه السماء علانية فى صوت مجلجل من رب السماء والأرض تأكيدا للقول "**والآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى**" (يو٥:٣٧).

ثانيا : شهادة المسيح نفسه :-

١- لأنه قال أنا ابن الله (مت٢٧:٤٣).

٢- أأنت المسيح ابن المبارك.. فأجاب أنا هو (مر١٤:٦١).

٣- أنا قلت أنى ابن الله (يو١٠:٣٦).

٤- "فقال الجميع أفانت ابن الله. فقال لهم انتم تقولون انى انا هو" (لو٢٢:٧٠).

٥- "بل قال أيضا أن الله أبوه معادلا نفسه بالله" (يو٥:١٨).

٦- "لكى يكرم الجميع الابن كما يكون الآب" (يو٥:٢٢).

ثالثا : شهادة الأنبياء عنه فى العهد القديم :-

١- **داود** : "قبلوا الابن وأنت ابنى" (مز٢).

٢- **سليمان** : "ما أسمه وما أسم ابنه أن عرفت" (أم٣٠:٥).

٣- **داود** : "من رحم الفجر لك طل حداثتك" (مز١١٠:٣)

٤- **أشعياء** : "وفى جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء" (أش٥٣:٨)

٥- **ميخا** : "أما أنت يا بيت لحم... فمنك الذى يخرج لى الذى يكون متسلطا على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل" (ميخا٥:٢)

رابعاً : شهادة نصوص من العهد الجديد وهو ملئ بلقبه هذا وإنما نقتبس من هذه النصوص ما يأتى :

١- "والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب" والترجمة الأدق : كمولود وحيد من الآب (يو١:١٤)

٢- "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد" (يو٣:١٦) والوحيد هنا لفظتها اليونانية Monogenis (مونوجانيس) وترجمتها "المولود الوحيد" فقد حذفت بسبب فكر طائش من مترجمى الكتاب المقدس الأول على يد فان ديك وهو لكى لا تثير مشاكل فى العالم العربى.

٣- "أنت المسيح ابن الله الحى" (متى١٦:١٦).

٤- "أنا أعرفه لأنى منه وهو أرسلنى" (يو٧:٢٩).

٥- "تكون معكم نعمة ورحمة وسلام من الله الآب ومن الرب يسوع المسيح ابن الآب بالحق والمحبة" (٢يو٣).

ولقد خاطب الابن أبيه قائلا : "أيها الآب مجد اسمك" فجاء صوت من السماء قائلا : "مجدت وأمجد أيضا" (يو١٢:٢٨) وهذا متفق تماما مع إعلان الكتاب الصريح عنه بان : "يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد" (عب١٣:٨) وفى قوله : "والآن مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم" (يو١٧:٥) فما يطلبه هنا من الآب وقد أعطاه إياه الله بعد قيامته لم يكن شيئا جديداً بالنسبة له – ولكنه هو عين مجده الذى كان له قبل اتخاذه لنفسه صفة العبد المطيع بتجسده.. وهذا ما أخذه على نفسه بطاعته الكاملة التى بها رد المجد الذى سلبه الانسان الأول بعصيانه : فهذا المجد الذى طلب من الآب أن يمجده به هو

مجده الذاتى الذى أخلى نفسه منه طوعا واختيارا لكى يستعيده عن طريق الاستحقاق كانسان قد أكمل العمل الذى أُعطى له من الآب لأجل مجد الله وهو كالعبد الكامل يطلب من الله أن يعطيه – كابن الانسان – ذلك المجد السابق الذى كان له من قبل أن يتجسد ويقبل على نفسه نسبه "العبد الكامل"!! وقد اعلن اشعياء كمال هذا العبد المبارك بل انه سيتسامى ويعلو فوق الجميع!!

وقد بلغ تحدى العدو له لسبب قبوله أخذ صورة عبد صائراً فى شبه الناس بان قام بعضهم مؤخراً بتفسيرهم لعبارة أخلى نفسه بانها لا تعنى اخفاء مجده فقط بل التجرد من ذاته – وهذا أمر محزن أن يقبله من يعتبرون علماء فى اللاهوت وقادة ومفسرين، لكن الرسول بولس الذى كتب هذه العبارة فى رسالة فيلبى الإصحاح الثانى احتاط لهذا الاحتمال الذى ارتد به – ولو ظاهرياً – من اشرنا إليهم فذكر بانه وهو يتخذ لنفسه صورة العبد كان هو فى نفس الوقت محتفظا بلاهوته كما هو واضح من القول الوارد فى (ع٦) وهو "الذى إذ كان فى صورة الله" ولها ترجمة "القائم فى صورة الله" وهو بالوحى يضيف على الفور عبارة "لم يحسب خلسة ان يكون معادلاً لله" مما يعنى بانه لم يكن مختلسا فى تعادله مع الله – وما دام ليس لله شريك أو نظير ومن ثم فان معادلته لله تعنى مساواته لله بالاطلاق

* * *

باستمرار هو رمز لما ينعش ويقوى (أم١٩ وهو١٤) والمسيح هنا كقائد شعبه كمن له باستمرار حيوية قوته منعشة ومدعمة له – أى لمجموعات شعبه الحقيقى... ومن المعلوم أن الحداثة (وترجمتها الشباب) هى الجزء من الحياة الذى يتميز بالقوة والنشاط – وعقبوا على ذلك بالقول بأنه "كما أن الطل أى الندى يفيض من رحم الفجر هكذا سيكون الأتقياء بالنسبة لفعل هذا الابن الأزلى المبارك إلى "المسيح" **وتفسير ذلك هو: "أن جمال شبابك الدائم الذى ظهر فى الناسوت سره تلك الولادة الأزلية التى لك والمعبر عنها "برحم الفجر" أو "من الرحم قبل الفجر" فان الرحم تشبيه عن "الولادة" والفجر تشبيه عن الأزل!!**

أما قول ميخا فى وصفها بأن : **"مخارجه منذ القدم منذ أيام الأزل"** فانه بهذا الإعلان السماوى لم يترك هذا النبى مجالا للشك فى وجود "صدورات إلهية أزلية هى صدورات اللاهوت الذاتية القديمة" بقوله تعالى **ومعنى العبارة كلها أن وليد بيت لحم فى عرض الزمان محيزا هو المولود أزليا من الآب فى غير ما حيز...**

وأما صيغة الجمع هنا فى لفظه مخارجه – وليس مخرجه فهذا يدل على دوام الصدور وسرمديته وعدم محدوديته – **وقد ظن قائل مشهور بين جماعة الأخوة بأنها تتنافى مع الولادة** – وقد فاته أن صيغة الجمع هذه قد وردت فى المحدود فى القول الوارد فى (أم٤:٢٣) **"أحفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة" فلا عجب إذا استعملت فى غير المحدود – وإذا فان حقيقة المراد بمخارجه هى "ولادته الأزلية" لكونها صدور غير محدود من مصدر غير محدود!!** وقد أثبت ولادته فى بيت لحم بقوله

عنها. فمنك يخرج أى يولد وهذه المقابلة الواضحة تبين أن لفظة مخارجه تحمل معنى "ولادته الأزلية".

أما مؤلف كتاب "يهوه" وهو أحد خدام الأخوة فيفسرها بمعنى "**دائرة وجوده الأصلية**" التى خرج منها أخيرا إلى العالم المنظور، وهو زعم ظاهر البطلان لأنه يجعل السماء أزلية معه وبذلك يدخل مع واجب الوجود فى اعتقادهم بأن الله والعالم جوهر واحد وهذا محال، فضلاً عن أنه يجعل الابن منحصرا فى دائرة وجوده بيد أنه تعالى يملأ الوجود بوجوده دون أن يسعه أو يحده فلا شريك له فيه لوحدة جوهر الأقانيم – **وكذلك يصور لنا هذا الزعم الأنتقال الحرفى للاهوت من تلك الأماكن إلى العالم المنظور** وهذا أيضا باطل لأن الابن جاء إلى العالم بدون حركة انتقال يفرغ بها حيزاً ويملأ أخر!!

والمستفاد من النص كله "أن هذا الذى سيخرج (أى يولد) فى بيت لحم هو الذى له المخارج الأزلية أى الولادة فى جوهر اللاهوت الذى لا يحدها زمان أو مدة وهذا ما ينفرد به المسيح فى ولادته الأزلية والزمنية – ولذلك فان هذه البنوة يجب أن تشير إليه وحده ولا يمكن أن تتحقق فى غيره كما أن "مخارجه" هذه انما تعنى دوام صدوره واتصاله فى الجوهر وهذا هو ما نراه فى وصف ولادته "بالمولود"!!

وفى ذلك أبلغ رد على مؤلف كتاب الله ذاته ونوع وحدانيته فى قوله: "أنه لو كان المراد بعبارة مخارجه منذ القدم الولادة الأزلية لما وردت بصيغة الأستمرار – مبينا ذلك من كون فعلها المستتر فى اللغة العربية هو المضارع التام لأن هذه الولادة فى عرفه لو كانت حقا لكانت عملا تم

وانتهى، وردنا عليه بأنه لو كانت هكذا على حد قوله فأن لفظه "منذ" قد جاءت فى صيغة المضارع التام أيضا وهو قد جعل معناها الظهور للابن وهكذا ظن أن لهذه الولادة زمن فقال بأنها فى وقت ما فى الأزل ونسب الأعتقاد بها باطلا للهراطقة – **وقد جهل بذلك أن ولادة الابن صدور سرمدى أى أزلى بلا بداية وأبدى بلا نهاية فلا يصح أن يشار بشأنها إلى وقت ولو فى الأزل لأن الأزلية نفسها تنفى مبدأ المدة ولا تعرف زمنا.** وهكذا أستعرضنا هنا كل أنواع التفاسير للأسم "ابن الله" والذى نعلمه فى شأنها أن الشيطان عدو الله والناس قد جعل هذه الحقيقة هدفا لسهامه ومازال يضعها عثرة فى سبيل المسيحية بل لقد حاول أن يشكك المسيح نفسه بها – فى تجربة الجبل – لو أستطاع إلى ذلك سبيلا (متى٤:٣-٦)

ومع ذلك فان الأسم "ابن الله" مازال من أعظم الألفاظ وأحفلها بالأسرار وليس من سبيل إلى أدراك عمقه وكنهه، ولا غرابة فى ذلك بسبب حيرة العقل البشرى عند بحثه إعلانات الإنجيل عن هذه الشخصية الفريدة التى لا سبيل لمعرفتها بحصر اللفظ، بل ان التعبيرات البشرية نفسها ليست كافية فى الأحاطة بها وذلك رغم كل ما بذل علم اللاهوت من محاولات فى تفسيرها لأنها من الأسرار الإلهية التى لا ولن تُعرف سوى أنها فى نطاقها الخاص!!

ولذلك بقى هذا الأسم متحديا للعقل والمنطق وهذا أمر لا يمكن تجنبه باعتباره حقيقة أساسية فى اللاهوت المسيحى لا تكفى الألفاظ فى ايضاحها ومن ثم فلا يمكن تقبلها سوى بالايمان!!

* * *

الفصل السادس

اعلانات العهد الجديد عن هذه البنوة

"أنا أعرفه لأنى منه" (يو٧:٢٩)

يرفض البعض تسمية المسيح بابن الله ويستنكفها لأن الصعوبة فى هذه التسمية عظيمة جداً وخاصة لدى أصحاب التوحيد المطلق : ومهما قدمنا من براهين قاطعة نثبت بها يقينا بصحة هذه التسمية فأنها لا يمكن أن تزيل من هذا السر غموضه أو توضحه تماما للعقل البشرى لأنه من المسائل الإلهية التى تفوق العقل ولذلك جاءتنا عن طريق الإعلان بوحى الكتآب المقدس وقد رأينا مقدماتها فى النبوات فيما سلف ذكره.

أما الإعلان الواضح عنها فقد جاء على لسان السيد المسيح نفسه فهو الذى قال عن ذاته أنه "ابن الله الوحيد" ولم يكن ذلك ما زعمه المسيحيون أو نسبوه إليه!!

وقد وردت لفظة الوحيد وفى الأصل اليونانى "المولود الوحيد" فى إنجيل يوحنا وكان بدء اعلانها فى هذا الإنجيل ولكنها وردت أيضا فى رسائل يوحنا ورسائل أخرى من العهد الجديد وكان بدء إعلانها فى (ايتى١٤و١٨) من الإصحاح الأول من الإنجيل فى القولين : **"كما لوحيد من الآب" و"الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب"** وفى (يوحنا ٣:١٦، ١٨) **"هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد..."** وأيضا : **"الذى يؤمن به لا يدان والذى لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد"!!**

ولم يكتف الرسول يوحنا بذلك بل دون فى (رسالته الأولى٤:٩) القول أنه : "**بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكى نحيا به**".

ولقد شهد لهذه البنوة يوحنا الحبيب فى المواضع التى ذكرناها وهى خمسة مواضع فى إنجيله بخلاف ما أورد عنها فى (رسالته الثانية ع٣) الذى سنعود إلى تفسيره فيما بعد وهو إذا لم يقف عند حد ما سجله لنا عن الابن الوحيد بل لقد قدم لنا فى إنجيله ما قاله السيد له المجد عن نفسه فى (أص٧:٢٩) حيث قال "**أنا أعرفه لأنى منه**" وسبق ذلك قوله فى (أص٦:٤٦) "**ليس أن أحدا رأى الآب إلا الذى من الله هذا قد رأى الآب**"

ويبدو أن أخوة بليموث لم يتقابلوا مع هاتين الآيتين مطلقا – فى كتاباتهم جميعا – لكانتا توقفهم عند حد فى إنكارهم حقيقة الوالد والمولود.

وقد ظن شارح إنجيل يوحنا المشيخى د. القس ابراهيم سعيد فى تفسيره لهذه الأية "بأن المسيح قد اخذ كيانه من الآب باشتقاق لاهوته منه باعتبار كونه أبا..." وهذا ليس صحيحا بالمرة لأنه يعنى الأنفصال والأقتران فى الجوهر الإلهى.. ورغم أن المعلوم عن لفظة منه تعنى لغويا التبعيض (أى أخذ شئ من شئ) ولكن هذا محال فى اللاهوت لأن ورودانه أزلية بلا مفارقة وبلا انقطاع – **ولذلك فأن لفظة "منه" هنا تعنى الولادة حتما دون أن تفيد الأشتقاق قطعا لأن الأشتقاق لا يجوز على الجوهر الإلهى كما أن وضع العبارة فى صيغة الماضى بقول الشارح : "لأن منه أشتق جوهره يدل على أن المسيح حادث وليس أزلى وأن**

الجوهر الإلهى قابل للتجزئة والتقسيم، وكل قابل لهما يقبل الانحلال والأنعدام!!

فالظن بأن "الولادة" تعنى "الأشتقاق شبيه بما يقوله المعترضون بأنها تستلزم تقدم الوالد ذاتا ووجودا على المولود، **مع أن حقيقة ولادته هى أنه مولود من الآب بغير انقطاع أو أنفصال ميلادا طبيعيا معه ثابتا فيه وذلك بصفة دائمة لم تتغير بعد تجسده إذ أنه لم ينفصل بسبب هذا التجسد عن ابيه ولم تنقطع أو تفرغ ولادته بل هو دائما مولود منه أبدا لأننا إذا قلنا أنه ولد وفرغ من ولادته فصلناه عنه بل نقول أنه والده ابداً وهو لم يزل ولا يزال مولود منه!!**

أما كيف أن الابن هو مولود وما خرج من الآب فلا ينظر إليه ولا يحسب به **ولا يتيسر قبوله إلا "بالإيمان" لأن الابن مولود فيه ومستمر فيه وهما بذلك آخر فى آخر فالصادر ليس خارجا عن مصدره لوحدة الجوهر لها!!**

ومن ثم فأن اعتراض نبذة إيماننا الأقدس البلموسية على ما جاء بقانون الإيمان وخاصة لفظة "**من**" فى عبارة الابن.. المولود **من** الآب قبل كل الدهور وأنه نور من نور وإله حق من إله حق" **ووضعها خطأ تحت كلمة "من" فى العبارة كلها ووصفها بأنها غير صحيحة لأنها تؤدى إلى فكرة "الأشتقاق"** ومعناها هذا بالطبع مرفوض ورأينا أنهم أيضا إذ ينكرون "الولادة" فأنهم بالتالى يقفون حيارى فى موضوع "الأنبثاق" فيعتبرونه هو الآخر مجرد الظهور لروح الله وارساله دون الصدور من الجوهر الإلهى!!

وهكذا تخبطوا لشدة انكارهم للصدورات السرمدية وهي "الولادة للابن" و"الأنبثاق" للروح القدس مع أننا نصفها هنا "بالسرمدية" لأنه ليس فيها أشتقاق ولا انفصال مما قام فى مخيلة من قالوا بذلك إذ ليس فى اللاهوت من هو قبل أو بعد غيره ولا من هو أكبر أو **أصغر لأن معنى "السرمدية" المساواة من كافة الوجوه والديمومة بلا كيفية!!**

ومن حيث أن هذه التسمية – الابن تدل على ولادة حقيقية فعلية دون ان تعنى بأنها مجازات ومعنويات وتشبيهات كما سبق البيان، لذلك لا يسوغ الحكم بموجبها بأن المسيح يدعى ابن الله بحسب اللاهوت بغير النظر لكونه مولود من الآب ولادة حقيقية فعلية منذ الأزل ولا زالت وستستمر على الدوام بدون توقف!!

وفى هذا الضوء وجدنا يوحنا الدمشقى يقرر فى قمة رده على الضلالات بان التثليث المسيحى يحفظ وحدانية الله بصورة افضل من التوحيد الاسلامى فيقول :

يدعوننا مشركين لأنهم يقولون اننا قد ادخلنا شريكا لله لما ندعو المسيح "ابن الله" و"الله" (والاسم الأول دليل الاقنومية وأما الثانى فلأن له الجوهر الإلهى كاملاً الأمر الذى استحق به ان يحمل اسم الجلالة الله) ولكن ما دمتم تقولون أن المسيح هو كلمة الله – فكيف يمكن أن تتهموننا باننا مشركين؟ لأن كلمة الله لا تنفصل عنه ذاك الذى فيه وجودها (ولذلك فانها كلمة الله الذاتية لا محالة) فان كان الكلمة لذلك فى الله فمن الواضح حينئذ انه الله ولكن ان كان خارج الله فاذا كان هو كذلك فانه بحسب كلامكم انتم يكون الله بلا كلمة وبلا عقل – وبذلك بينما تتجنبون ان

تجعلوا لله شريكا فانكم مضطرون الى تقسيمه – وكان الافضل لكم ان تقولوا بان معه شريكا من ان تقسمونه وتعاملونه كما لو كان حجرا أو خشبا أو شيئا آخر مما لا حياة فيه .. ولذلك فأنتم تتهموننا زورا حين تدعونا بالمشركين بينما ندعوكم نحن بالمقسمين الله!! (اقتبسه براون فى كتابه غروب المسيحية فى آسيا صفحة ١٢٩).

ومما ينفى ما ذهب اليه ذلك الفكر الذى مررنا به آنفا بالاجماع العام فيما هو مشترك بين الاديان نجد انه من المنطق الاتفاق فى ان الله عاقل وحى لأنه ليس من المنطق فى شئ ان يكون غير ذلك ولو قبلنا هذا الاحتمال وهو مستحيل استحالة مطلقة فانه لن يكون الله إلها على الاطلاق ومعنى ذلك ان له كلمة وروح، لأن الذات (أى الوجود) هو من تسمى بالوحى "الآب" والنطق (هو الكلمة)، والحياة (هى الروح) وهذه خواص متميزة نطلق عليها الصفات الذاتية الثبوتية فى اللاهوت!!

وهذا تفكير مقبول يثبت اعلان الوحى عن : "ذات الله وكلمته وروحه" والمعترض أيا يكون يعتقد معنا بذلك دون أن يفهمه ونحن المسيحيين لا نقول باكثر من هذا – وهو مما لا يقتضى الشرك بالله أو الخروج عن التوحيد – واذاً فانه على اساس الاتفاق فيما قلنا نتساءل بازائه لماذا المخالفة إذاً فانها غير جائزة ولا يجب أن تكون موضوع جدل فارغ أو نقاش غير مجدى!!

* * *

الفصل السابع

وصف يسوع المسيح بأنه ابن الآب بالحق والمحبة

"نعمة ورحمة وسلام من الله الآب
ومن الرب يسوع المسيح ابن
الآب بالحق والمحبة" (٢يو٣)

فاذا انتقلنا من هنا النظر إلى وصف يسوع المسيح بأنه ابن الآب بالحق والمحبة بحسب ما ورد فى (٢يو٣) فأننا نشاهد نفس الموقف يتكرر بشكل غريب : **فقد قالت مجلة المراعى الخضراء فى عددها الصادر فى فبراير ٥١ :**

"بأن ابن الآب لقب مجيد يختص به المسيح وحدة لأنه الضامن لنا معرفة الآب ومعرفة شخصه ككامل الحق والمحبة وبنعمته وعمله أعطانا أن نعرف هذا كله ونمتلكه ونتمتع به فى نفوسنا".

ويقول هركنج فى كتابه "ابن محبته" : أن الابن هنا يتضمن أن محبة اللاهوت (لأن الله محبة) متجهة إليه ومستقرة عليه – فالابن موضوع المحبة – **وهل كان يمكن أن يكون هناك حضن الآب وبيت الآب بدون ابن محبة الآب..** وهو يستطرد إلى القول بأن : "ابن محبته يتضمن فى معناه العمق والفيض واللطف والمودة التى لازمت ربنا المبارك فى اعلان محبة الله وقد جهلوا بذلك معنى "الابن الوحيد" وجعلوه يتضمن معنى المعزة أوالمحبة العظمى.

* *

وقد غاب عن هؤلاء البليموث – أكثر من غيرهم المعنى الماثل أمام عيونهم فى هذه الآية الصريحة "**ابن الآب بالحق والمحبة**" **فقوله "بالحق" أثبت أن ولادة الابن ولادة حقيقية فعلية لا مجازية معنوية أعتبارية".**

وأما قوله ابنه بالمحبة فأنه يعنى "ابن محبته" وفى ذلك أشارة واضحة إلى ولادته فى عرض الزمان، وفقا لما شهد به الآب عنه قائلا: "هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت".

وكان الروح القدس حينئذ هنا نازلا مثل حمامة ومستقرا عليه كابن الإنسان! نعم أنه ابن الله الحبيب أزليا ولكن كانت محبة الله لابنه محبة طبيعية وسروره به سرور تلازمى لا بداية له ولا نهاية – **ولكن سروره به فى حادثة الأردن كان أعلانا متعلقا بالإنسان يسوع المسيح!!**

ومع ذلك فقد بنى هوكنج أقواله عن "البنوة الأزلية" فى كتابه "ابن محبته" (الصفحات١١٣، ١٢٨، ١٣٧) على اساس واحد هو "محبة الآب" **لا على ولادة أزلية حقيقية من الآب ظنا منه أن هذا يكون تناسلا واشتقاقا ومنحا**، وقد غاب عنه أنها ولادة طبيعية استمرارية فى اللاهوت لا أشتقاق فيها ولا شئ مما توهم، لأنها لم تكن صادرة عن إرادة كولادتنا التى قيل بشأنها "شاء فولدنا" (يع١:١٨) وهو بولادته هذه فريد الجنس وأما اعتبار هوكنج لها أنها تناسل وكأنها شبيهة بولادة البشر فأنها مغالطة منه لا مبرر لها.

فقد دعى الملائكة بحق "ابناء الله" لصدورهم عنه بالخلق، كما قيل عن الناس أنهم ذرية الله لصدورهم عنه بالخلق، وندعى نحن المؤمنين.. أولاد الله بالولادة الجديدة أو الميلاد الثانى كما دعانا أيضا بأننا "نسل

المسيح" فى (أص٥٣:١٠) ولكن دعوتنا "ابناء الله" انما هى "بالتبنى"!!

• •

فاذا كان الملائكة والناس والمؤمنون كل هؤلاء يدعون "ابنـــاء الله" لأسباب مختلفة – فما هو السبب الذى تقوم عليه بنوة المسيح لله؟ أنهم يقولون أن السبب مجهول لأن كل ما يقولونه فى هذا المجال غير مقنـــع – ولكن فى الحقيقة وبشهادة الكتاب نفسه **نجده غير مجهول فـــأن هـــذه البنوة الفريدة فى بابها سببها الولادة الأزلية العجيبة!!** وكيف نكون نحن البشر المحدثين "ابناء" لله لأننا مولودون منه وهو والد لنا إذ وصفنا بأننا ولدنا من الله (يو١:١٣) **ولا يكون للابن الوحيد ولادة أعجب واسمى فى الأزل!؟**

وكيف يخشى من القول بولادته لئلا تفيد التناسل الجسدى الذى يزعمونه ولا يخشى من ولادتنا نحن أن تؤدى إلى معنى هذا التناسل مع أننا حقـــا نسل المسيح كما قال أشعياء أص٥٣ وذرية الله كما قال بولس (أع١٧).

وقد فات هؤلاء المتنكرين لولادة الابن الأزلية أن كل ما يتعلق بعالم الروح يختلف أختلافا بيننّا عما يتعلق بعالم الحـــس ولا يتنـــافى عـــدم الحرفية مع الحقيقة الروحية – وهنا ما جهله كثيرون قـــديما وحـــديثا فاعتنقوا بدعة انكار الوالد والمولود داخل المسيحية وخارجهـــا جـــاعلين شعارهم "بأنه لم يلد ولم يولد" بزعم أنه لا يمكن وجود التوالـــد فـــى الله لأنهم تصوروه بما هو متناهى فى الفظاعة إذ ظنوه شبيه بما يتم بين ذوى الأجساد الحيوانية من زواج واتحاد بانثى وهو ما لا يخطر علـــى بالنـــا قط!! وذلك منذ نشأة المسيحية وعلى مدى تاريخها الطويل وحتى الآن!!

ولكن أليس من الجهل المركب أن تكون بنوتنا نحن البشر لله بنوة حقيقية أما بنوة المسيح الأزلية فلا تكون إلا مجازية استعارية!؟

مع أن ولادتنا الحقيقية هذه بالنسبة لولادة المسيح من الله ما هى إلا كنسبة المجاز إلى الحقيقة ولكنهم عكسوا الأية وحاولوا طمس الحقيقة وهيهات!!

جدير بالذكر أن مخاطبة الآب للمسيح فى الأردن "هذا هو ابنى الحبيب" (متى٣:١٧) "وأنت ابنى الحبيب" (مر١:١١) وأيضا (لو٣:٢٢) فأنما كانت خطابا واحدا معلنا عنه أنه "ابن محبته" قد اضيف له فى النصوص الواردة عن التجلى فى الأناجيل الثلاثة عبارة "له أسمعوا"!!

وسبق أن قلنا أن لفظة "الابن الوحيد" أن لفظه الوحيد بالذات وقد سبق أن أوردناها باليونانية قد ترجمت فى لغات الكتاب المقدس أى اللغات الأجنبية "المولود الوحيد".

وقد أعترف بلت البلموثى أيضا فى كتابه "معرفة ابن الله بالابن مولودا كما أقرت نبذة الإيمان الأقدس فى حاشية صفحة١٧ بأن لفظة "الوحيد" قد ترجمت أحيانا "بالمولود الوحيد" the only begotten دون الأستكمال الذى يستوجبه ذلك والذى ورد فى قانون الإيمان بأنه "إله حق من إله حق" بحسب ما وصفه به الرسول يوحنا فى ختام رسالته الأولى (٢٠:٢) ونصه **"ونحن فى الحق فى ابنه يسوع المسيح هذا هو الأله الحق والحياة الأبدية".**

وذلك لكونه المولود الوحيد بولادته السرمدية التى هى بطبيعة الجوهر بلا اشتقاق ولا تقسيم ... وهى هنا لا تفيد القبلية والبعدية كما فى

مفهومها البشرى إذ أنها لا تعنى تتابعا أو نوال فهى لا تعنى "التوالد الجسدى" كما سبق التنبير إذ لا محل للتفكير فى شئ من هذا – **إذ أن الولادة حسب الأصطلاح البشرى المألوف تدل على اسبقية فى الزمن والتاريخ بين الآب والابن البشريين الأمر المحال فى اللاهوت!!**

فى حين أن القول العكسى ينفى هذه الولادة السرمدية وقد جعل بنوة المسيح تعبير مجازى فأن ذلك مما يجعل هذه البنوة غير حقيقية!!

أما عن الولادة السرمدية فليس فيها سابق ولاحق وليس للاشتقاق فيها معنى كما ظن بعضهم وليست هى التناسل الذى يتصورون به أنها تشبه ولادة البشر وأدوارها، ولذلك فأننا لا نقول بأن: "الابن ولد من الآب" بل نقول "**مولود من الآب**" بولادة سرمدية – **والسرمدى لا تلزمه شئ من هذه الألفاظ الغريبة**. ولذلك فأن أية (يوحنا١:١٨) لا نجدها تتعلق بولادته فى عرض الزمان كمن هو فى حضن العذراء مريم، بل جاء النص **بأنه فى حضن الآب** وقد جاء ليعلن الله ويظهر محبته الفائقة ببذل نفسه فدية لخلاص البشر وهو بذلك قد خَبر أى أعلن الأسرار التى ما كان بمقدور أى ادراك الوصول إليها أما وصفه فى "حضن الآب" فهو تعبير إنجيلى يضاف إلى الأيات الأخرى فى هذا المجال مما لا يكون له أى معنى سوى ولادة الابن الأزلية من الآب!!

* * *

الفصل الثامن

يقينية الوهية الابن المولود الوحيد

"وأنا قد رأيت وشـــهدت أن
هذا هو ابن الله" (يو١:٣٤)

وهنا نأتى إلى الخلاصة النهائية لهذا البحث النادر فنقول بأن عبـــارة "المولود الوحيد" قد ترجمها ويموث: "بالاله المولود الوحيد" فجاءت فـــى ترجمته theos "الاله" بدلا من لفظة huios "الابن" وهذا يوجد أيضا فى العهد الجديد اليونانى لسكوت وهورتس..!!

ولكن ليس فى هذا التنوع الوارد فى بعض النسخ الأصـــلية أدنـــى غرابة إذ ان المقصود به أن "الابن المولود الوحيد" هـــو بعينـــه الالـــه المولود الوحيد وإنما تفهم "الولادة" هنا وفقا لكـــل مـــا قلنـــاه "بالوضـــع الروحانى" لا الجسدى **وهى تعنى ابراز مولود نظير والد فى الجـــوهر.** وهذا ينفى زعمهم أننا لا نعرف لتسميته هذه سببا ومـــا كانـــت "الأبـــوة" و"البنوة" فى اللاهوت وهما أو مظهرا أو قياسا أو اصطلاحا بـــل همـــا طبيعتان فى الجوهر لازمانيان فلم يكن من قبل مولد الابن زمان ولا لـــه بدء ولا كان من بعد ما لم يكن **بل لم يزل الابن مع الآب وفيه أزلى مـــع أزلى مولود منه بلا بدء للوالد ولا للمولود!!**

وهذا يدحض من وجدوا فى عصرنا فحين يستعملون عبارة "الابـــن الوحيد" مجازيا للدلالة على تفرده دون غيره بمركز البنوة المبهم والـــذى لا يزيد فى معناه عن مكانة المحبة الخاصة **ولذلك وجـــدناهم يفســـرون**

معنى "حضن الآب" بأنه "التآلف والحب والأحاطة بالأسرار وهم يقولون فى جرأة بأنه فى الواقع ليس مولودا، وأما لقبه "الوحيد" فهو على سبيل التشبيه فقط! وهو فى نظرهم لا يدل إلا على ما له من مكان محبة فى قلب أبيه كوحيده **مشبها بالمولود البشرى الوحيد لأبيه**، مما يستخلص منه **أنه مجرد تشبيه عاطفى** من رسول المحبة وهكذا أضحت البنوة الأزلية الحقيقية لديهم بغير ولادة!! وانما استبدلوها بهذه التعليلات بغير وجه حق!!

أنهم جعلوا هذه البنوة نسبة داخلية فى اللاهوت هى نسبة التماثل والتشابه هذه **دون أن يخبروننا من اين جاءت هذه النسبة** بل جعلوها تدل على المعادلة فى الأقنومية والأزلية والعمل والمقام.. ثم ضمنوها معنى "سرية الشخصية"...

وكل ذلك لتجنب المعنى الحرفى فى هذه الولادة، **وقد ظنوا أن المعنى الروحى ينفى عنها كونها حقيقية دون حاجة للمعنى الجسدى الذى يعتبره كل مسيحى تجديف على الله.**

وهكذا جعلوا هذه البنوة الفريدة بنوة مجازية معنوية نسبية تعبيرية تشبيهية بل أن جاردنر (الأسقفى) قد أعتبرها اعتبارية أدبية فقط لأن التوالد لا يطابق المعنى الروحى من وجهه نظره – **وكأن هؤلاء قد ختموا بالقول الشائع غير المسيحى الذى يقول: "لأن الله لم يلد ولم يولد"..**

وهكذا درج المفسرون المحدثون فى قبول هذه العبارة وهى ما ينطق به أهل التوحيد المطلق ويرددونه ينفون به الولادة فى اللاهوت لأنها تعنى المشاركة والتميز – وقد حسبها بعضهم نوع من الفيض الإلهى

أفاض به المولى الوجود على من يماثله وخرجوا بذلك من معنى ومفهوم الولادة الطبيعية فى اللاهوت، تحذراً منهم لئلا تكون هى والتناسل الذى ينسب إلى المخلوقات على حد سواء بل قد وصل الحال ببعض الكتاب الأرثوذكس. كما ورد فى أحد اعداد مجلة المحبة – أن ساروا فى نفس هذا الدرب واعلنوا بأنه ليس هناك والد ولا مولود فى اللاهوت وإنما الآبوة والبنوة مجرد تعبير بشرى ليكون مفهوما منا..!!

وأننا نتساءل : **"ماذا حدث لمعلمى المسيحية وقادتها حتى وصل بهم الحال إلى ترديد نفس ذلك الكلام الذى يقوله الغير بدون روية أو امعان فينكرون "الولادة" وهى صفة ثبوتية فى اللاهوت تحقق بنوة المسيح الأزلية – ويهزأون بها قائلين : "أن الابن ليس مولودا بالمرة وهم بذلك ينفونها تماما وخاصة لعدم وجود أم فى اللاهوت على حد قولهم – وهذا قول باطل يوجب عليهم أن يسخروا من أنفسهم لأنهم لم يعرفوا معنى هذه الولادة!!**

ولم يكن يوحنا الحبيب وحده هو المختص كرسول المحبة بالتحدث عن "الابن الوحيد" بل لقد أقتفى أثارة الرسول العظيم "بولس" فكتب بالوحى لابنه تيموثاوس فى (أص١:١٧) يقول : "وملك الدهور الذى لا يفنى ولا يُرى الاله الحكيم وحده (فى الحاشية الوحيد) له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور" والأشارة هنا واضحة إلى يسوع المسيح فبعد أن ذكر اسمه فى الناسوت (يسوع) عاد يبين لنا من هو فى اللاهوت وأعطاه الكرامة والمجد ولا غرابة فى ذلك لأنه هو الذى قيل فيه **"كرسيك يا الله إلى دهر الدهور"** (مز٤٥، عب١).

وقد وصف هنا بأنه الاله الحكيم وحده (أى الوحيد) وفى ذلك أشارة إلى "الابن الوحيد" وحيد أبيه كما أنه كان وحيد أمه عندما تجسد منها كأنسان ليعيش على الأرض...

وهذا التعبير الذى سبق أن قلنا بوروده فى ترجمة ويموث : "بالاله المولود الوحيد" وأوردها بولس هنا قاطعة بالوهيته فهو ليس إله كما يزعم المجدفون بل "الاله" وليست إلوهيته بالمعنى الذى قصده السبتيون بأنها هى المؤهلات المتوفرة فى السيد المسيح والتى بها قرروا بأن المسيح نائب عن اللاهوت أى "إله ثانوى" له طبيعة إلهية بدون أقنومية واعتبروا أن إبليس كان مكرما عند الله ثانيا من بعد المسيح الذى لما مجَّده الآب اشتاق إبليس وكان اسمه لوسيفر أن ينال نفس السلطان فقط وصار شيطانا – **وكل هذا يجعل المسيح منظورا ومدركا قبل التجسد وتبعا لذلك لا يكون هو الاله الأزلى الذى لا يُرى ولا يحد بالنسبة لصورته الجوهرية!!**

وردنا عليهم نضيف به إلى ما سبق أن قلناه آنفا بأن الرسول بولس نفسه فى نفس رسالته إلى تيموثاوس (أص٦:١٤،١٦) قد ذكر لنا من هو يسوع المسيح هذا؟ **فقال عنه أنه المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك والساكن فى نور لا يدنى منه الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه الذى له الكرامة والقدرة الأبدية آمين"!!**

وقد أشار الرسول يهوذا فى خاتمة رسالته (١عددى٢٤،٢٥) **إلى هذا الاله الحكيم الوحيد مخلصنا القادر أن يحفظنا غير عاثرين ويوقفنا أمام مجده بلا عيب فى الأبتهاج له المجد والعظمة والقدرة والسلطان الآن وإلى كل الدهور آمين!!**

فهذه الأقوال كلها تشير إلى جوهر الابن وهو الجوهر الإلهى غير المنظور كما تبين لنا مساواته فى ذلك الجوهر مع الآب والروح القدس!!

الأ يختلف هذا كله مع قول الكاثوليك الغريب بأن المحبة الكائنة بين أقنومى الآب والابن هى البنوة وأن وصف المسيح بأنه ابن الآب بالحق والمحبة إنما معناها أنه محبوب الآب بالحق والمحبة!!

ومن ثم فأن جميع الأقوال المضادة التى وصفوا بها "بنوة المسيح" ممتنعة فى حقه وغير جائزة لعدم لياقتها وهذا ثابت من ردودنا هذه بل أنه حتى بالنسبة لولادته الزمنية من العذراء – بالجسد – إذ قد حبل به فى مستودع البتول البرئ من الدنس بحلول قوة العلى عليها فأن ذلك لم يكن بمشيئة ولا بشهوة ولا بمضاجعة رجل بل من الروح القدس أما عن العذراء نفسها فقد قالت : "**ها أنا أمة الرب ليكن لى كقولك**"... وبعد انقياد البتول القديسة مريم حل عليها الروح القدس مطهراً أياها ومانحا لها قوة قبول لاهوت الكلمة وقوة الولود معا إذ ظللتها قوة العلى القائمة بذاتها فكانت بمنزلة زرع الهى، ومن دمائها المقدسة الجزيلة الطهارة عقد ابن الله لذاته جسما متنفسا بنفس ذات نطق وعقل وذلك ليس بحال التناسل بل بحال الأبداع الكاين بالروح القدس – وهو قد حل فى بطن البتول بغير انحصار وكأنه تحدد فى الناسوت الذى تجسد فيه ولذلك فأننا لم نقل فيه أنه إنسانا متألها وكأننا ألهناه لكننا نقول عنه **بأنه "إلها متأنسا" فلا غرابة** أن وُصفت مريم لدى غيرنا بأن الله اصطفاها وطهرها ورفعها فوق نساء العالمين!! وذلك ترديدا لقولها: "**لأنه منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى**" (لو١:٤٨).

* * *

الفصل التاسع

تجسد الابن انما هو ظهور الله فى الجسد

"وبالأجماع عظيم هو سر التقوى
الله ظهر فى الجسد" (١تيمو٣:١٦)

قد سبق أن أصدرنا فى موضوع "ابن الله" أربعة كتب متميزة وهى: "من هو يسوع المسيح؟" و"حقيقة المسيح" و"المسيح كلمة الله" و"من يستحق أن يكون الأعظم" ولكن وقد كتبت عنه مجلدات ربما بالمئات وأكثر فى مختلف اللغات لكننا لن نفيه حقه وخاصة أنه مركز الخلود والفداء والوساطة والمصير سواء من جهة محاسبة الأبرار وأيضا إدانة الأشرار... والآن وقد قدمنا ما فى جعبتنا فى هذا الموضوع الخطير مما له آثاره فى الحاضر الزمنى والمستقبل الأبدى فأن علينا توضيح كيفية حلول اللاهوت فى الناسوت فى شخص يسوع المسيح لأنه أبرز موضوع للمشاحنات حول شخصه المبارك وذلك فيما يلى :

لقد سبق أن قدمنا فى هذا البحث التفسير الأرثوذكسى القديم مع أن الأفكار التى وردت به لا تعتبر كافية لأن الحقيقة الألهية أعظم قطعا من كل المدارك البشرية ورغم ما بذلناه من أقصى الجهد لشرحه لسبب واجب الأمانة فأننا مع تسليمنا بما قدمه لنا الأباء بشانها إلا أن ذلك لحين وجود تعبيرات أفضل – إن كان ذلك ممكنا – **ومن ثم فأنه من الغباوة إذا أن نترك ما ورثناه عن الأباء إذ ثبتت صحته مقرين بأن الذات الإلهية فى سائر الأحوال أسمى من أن يحدها الإدراك والتعبير البشريين!!**

فأنه من اجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس : وهنا نحن نتقدم إلى "سر التجسد" الذى اتحد فيه اللاهوت بالناسوت بغير استحالة ولا امتزاج ولا اختلاط ولا تغيير، فحل كل ملء اللاهوت بصفاته الذاتية والفعلية فى المسيح جسديا دون أن ينحصر فى الجسد... وعن ذلك يقول أثناسيوس بأنه **"لا يجوز تفسير هذا الحلول بأنه اذ حل فى هذا الجسد فأن ذلك ليس بحلول مقيد وكأن كل مكان آخر قد فرغ منه"!!**

وقد أثبت ذلك العقاد فى كتابه عن "الله" ص١٥٩ بقوله : "فجاء" (أى إلى العالم) السيد المسيح بصورة جميلة للذات الإلهية وليست هذه الصورة الجميلة سوى صورة ذاتية لله عن طريق التجسد **لأنه لا يستطيع أحد غير الله أن يعلن ذات الله كما هى بجمالها وكمالها – فلم يكن ممكنا للسيد المسيح أن يأتى بصورة ذاتية لله لو لم يكن هو الإله المتجسد أى المتأنس!! لأنه من المستحيل أن يعلن "الله" إلا من كان من طبيعته!!**

فلا عجب أن بهرت شخصية "المسيح" الفريدة مؤلف كتاب "معا على الطريق" فالزمته بأن يقول : **أن القوة الخارقة التى ظهرت فى المسيح كانت قوة نابعة من ذاته، لأن ذاته لم تكن مثل ذواتنا إذ هى مؤهلة لعظائم الأمور معبأة بطاقات هائلة** – ومن المعلوم أن ذات الله سبحانه وصفوها بالقول : **بأن الذات الإلهية مغايرة لسائر الذوات!!**

أما بسكال وهو فيلسوف مسيحى فانه يقول : "بأن المسيحية قد حققت بأن الله عرف احتياجات الإنسان وأستجابت لمطالبه وأوجدت حلاً لجميع مشكلاته **وكان ذلك الحل هو اتحاد الله الفعلى بإنسان فى أكمل معانى**

الإنسانية، اتحاد الله بإنسان خال من الخطيئة ولغاية واحدة هى فداء البشرية جمعاء ولنتيجة واحدة هى الخلاص من الخطيئة والشقاء والموت!! فهو الذى اتخذ الجسد كاداة يعلن بها لاهوته للبشر ثم ينجز لهم به خلاصهم الابدى!!

وبقى لنا هنا نختم هذا البحث بمواجهة ثلاثة اعتراضات :

* **الأعتراض الأول منها : كيف يقبل اللاهوت الغير المتناهى الحلول فى محل معين؟** وجوابنا على ذلك هو – أن اللاهوت لم يتقيد بحدود الناسوت فقد حل فيه بغير انحصار لأنه تعالى لا يمكن أن ينحصر فى محل معين لأن جوهره لا يتحدد فيصير محصورا ولذلك فأننا ننزهه سبحانه عن مثل هذا الحلول المقيد، ونؤمن بأنه جاء فى الجسد بسر عظيم بغير انفصال أى أنه : "نزل من السماء وحل فى بطن العذراء حلولا يدركه هو لا غيره **واتخذ منها جسدا انسانيا كاملا واتحد به وهكذا اتحد ناسوته بلاهوته دون أن يفارق السماء أيضا** لما نزل لأن اللاهوت لا ينقسم ولا يتجزأ ولا ينفصل ولا تحيط به الجهات ولا يخلو منه مكان ليملأ غيره، يؤيد ذلك قوله : "**وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء**" (يو٣:١٣).

فهو منزه عن التحيز والتحدد والانحصار لأن هذه الأشياء مستحيلة بالنسبة له تعالى إذ هى لا تجوز على الوجود الإلهى المطلق بأى حال من الأحوال – **فان لاهوته المتحد بالجسد فى الأرض هو هو مع الآب فى السماء!!** مالئا الكل وهو فى الكل دون تحديد لأنه الكائن فى أبيه وحده كليا!!

فلما كان يملأ حضن مريم المحدود كان فى نفس الوقت يملأ حضن الآب غير المحدود!! هذا سر عظيم لا ندرك كيفيته فهو أعظم مما تسعه الأفكار إذ كيف يكون مهانا على الأرض وما يزال ممجداً فى السموات!!

وإذا ما كنا نرى فى أمر حياتنا أيضا كيف أننا نجد الروح وهى ذات طبيعة عقلية لا تنحصر متعلقة داخل نهايات الجسد فكيف يكون أمر اللاهوت الذى هو بطبيعته وجوده مطلق وبلا حدود!؟

- **الأعتراض الثانى : كيف يتحد اللاهوت القدوس بالمادة المنسوب لها الشر فيحل فى بطن امرأة ويظهر فى جسد بشرى يتصف بما لا يليق به تعالى!؟ لقد أجآب الدمشقى عن ذلك فى كتاب "الإيمان الأرثوذكسى فقال: "أن للطبيعة الإلهية خاصية اختراق كل الأشياء دون أختلاط بها ودون أن يخترقها شئ منها وإلا فكيف يقال أن الله يخترق ويملأ الكون بأسره"!!**

ويعترف مؤلف كتاب "الوجود" – الغير مسيحى – بلزوم وجود اتصال معنوى غير مباشر بين الله والكائنات، لكنه ينكر اتصاله بالكائنات اتصالا ذاتيا مباشرا، **ومع ذلك فقد اضطر أن يقول بأن وجود الله فى الموجودات صفة وصفية لا تحيط بها العقول فبالأولى يكون تسليمنا بأن الأتحاد بين اللاهوت والناسوت يتحدى التحليل ولا يقبل الفحص!!**

أما كيف أنه لن يتدنى بحلوله فى الجسد فقد أجاب عنه الأباء بقولهم أنه لم يحدث له بسبب اتحاده بالطبيعة البشرية تغيير ما لأنه حاشا لله أن يتغير لأنه أن كانت الشمس التى خلقها هو تطلق أشعتها فى كل محل بما فى ذلك أماكننا الدنسة وأحوالها وما يمس طهارتها دنس ما ولا تتطفئ

بظلمات الأجساد ولكنها بالعكس تنيرها وتطهرها أيضا **فبالأولى جداً كلمة الله الكلى القداسة لا يمكن أن يتدنس بظهوره فى الجسد بل بالعكس لأنه عديم الفساد قد حل بجسد طاهر خلقه هو لنفسه فكان بريئا من الدنس بل زاده اتحاد لاهوته به طهارة وقداسة ولذلك كانت ولادته من عذراء بتول خارقا للطبيعة وعلى خلاف مجراها** وذلك لأن الطبيعة البشرية قد فسدت ولم تعد تصلح لأن تتحد باللاهوت، ولذلك أرسل الله روحه القدوس وحل على مريم عوضا عن الزرع البشرى وهيأ منها جسدا يصلح أن يكون مظهرا لابن الله الوحيد ولم يولد أخر من بنى البشر على هذه الصورة ولسبب هذه المعجزة قيل عن المسيح أنه "نسل المرأة".

وهى معجزة ايجاد ناسوت المسيح القدوس بكيفية لا يمكن للعقل البشرى أن يدرك كهنها ولذلك كان ميلاده العذراوى برهانا على ألوهيته له المجد ... **ومن ثم فأننا لا نجد معنى لموقف من يقبلون التسليم بولادته من عذراء لم يمسسها بشر وهم مع ذلك ينكرون لاهوته!!**

* **الأعتراض الثالث : لماذا أخفى لاهوته عن الناس فلم يعلن عن نفسه أنه "الله"؟** ونجيب بأنه وأن كنا نؤمن بأن الجسد قد اتحد بالكلمة منذ اللحظة الأولى (كتاب إيمانى ص١٣٩) نؤكد بذلك حقيقة وهى أن الذى كان إلها صار إنسانا أيضا كما بقى إلها كما هو ولكنه لأجل التجسد أخلى نفسه أى حجب مجد لاهوته اختياريا فأخفى الوهيته لأنها لو كانت عرفت فى بادئ الأمر لهالت كل إنسان وتعذر معاملته كصبى بشرى، ولذهب هباء قصد التجسد الذى انطوى على أن يكون المسيح انسانا كاملاً ...

أما تدرجه فى الأدوار الأنسانية المعهودة فهى لكى يثبت بأنه انسانا تاما حقيقيا – ونحن نقف باحترام عند هذا الحد لئلا نتعدى إلى بحث كنه "سر تجسده" هنا وهو مما لا يجوز كسائر المسائل الإلهية التى تخص الله!!

وهناك أسباب أخرى نضيفها إلى ما تقدم وهى :

١- **لقد أخفى لاهوته لأن الله فى صورته الجوهرية لا يُـرى** – وهـذه الصورة بالنسبة للثلاثة أقانيم واحدة وهى فى نور لا يدنى منه، وإنما انفرد المسيح بكونه مع أن له الصورة الجوهرية سالفة الذكر وبسببها قد تسمى "صورة الله" إلا أن له وصف آخر وهو أنه "صورة الله غير المنظور" وهذه هى الصورة الشبهية – التجسدية أرانا الله فيهـا دون أن يرينا أياه فى صورته الجوهرية ولهذا كان طبيعيا أن لا يعلن عن نفسه بأنه الله مادام ليس بأمكاننا قط أن نرى تلك الصورة الجوهرية بوجه مطلق وهى بعينها سر الوجود المطلق الذى يختص بالله وحده!!

٢- **ولأن جوهر اللاهوت وهو واحد ومع أنه لكل أقنوم مـن الأقـانيم الثلاثة كاملا، ولكن بحكم وحدانية الجوهر لا يجوز لأقنوم منهم أن يكون هو "الله" بالأستقلال عن الأقنومين الأخرين** فمع أن كل مـنهم قد تسمى باسم "الجلالة الله" لاتحادهم فى الجوهر الإلهى الواحـد إلا أن ذلك لا يتنافى مع وحدة الجوهر المتحدة فيه هذه الأقانيم اتحـادا فائقاومن ثم فاننا لا نؤمن بثلاثة آلهة مع أن كل أقنوم هو إله ومـن حقه أن يحمل اسم الجلالة لكننا بحسب وحدتهم فى الجوهر الإلهـى يعتبرون ثلاثة أقانيم متميزة فى لاهوت واحد مطلق!!

٣- **ولذلك فأن المتفحص لعلاقة الرسل بالمسيح كما بالنسبة لمعاصريه**

نجد أنهم لم ينظروا إليه إلا على أنه إنسان ولم يتصوروه إلهاً على الأطلاق لأنهم كيهود كانوا يعلمون تمام العلم أن الأعتراف بأن إنسانا ما هو الله يعتبر تجديفا يستحق الرجم فى الحال وهذا ما شرعوا فيه قبلا تجاه المسيح ولا يزال قائماً.. فى عقول أصحاب التنزيه البالغ.

٤- **ولذلك فان معاصرى المسيح كيهود كانوا يستبعدون أن يظهر الله فى هيئة إنسان** نعم كانوا ينتظرون "المسيا" لكن المسيا بالنسبة لأفكارهم التى توارثوها عن أجدادهم لم يكن سوى رسول ممتاز من عند الله وليس هو ذات الله!! مع أن الوحدانية المطلقة انما هى الاعلان المبدأى عن الله فحسب!!

٥- أيضا لما كان المسيح قد جاء إلى العالم ليأخذ مكان العبد الوضيع بحسب ما وصفه به الوحى فى (فيلبى٢:٧) من انه "أخلى نفسه آخذاً صورة عبد" وقد وصفه اشعياء "بالعبد الكامل" فهل الذى أخلى نفسه آخذا صورة عبد ينتظر منه أن يقول فى كل مجلس "أنا ربكم" أو أن يقول أمام كل حشد : "لأنى أنا هو الله فاعبدونى" ومع أنه تأنس وصار يحمل اسم "ابن الإنسان" لكنه كان أكثر من مجرد انسان وانما اتخذ ناسوته حجابا للاهوته حتى يتيح لنا نحن البشر أن نُعامل الله ولذلك فقد صار كابن الانسان الذى يمثلنا الوسيط الوحيد بين الله والناس لكى يجعلنا نحن المؤمنين به "أبناء" لله!!

٦- **ولذلك ترك يسوع المسيح أمر أعلان حقيقة لاهوته إلى الأعلان التدريجى الذى كان يزداد أشراقا مع الزمن حتى ملأ الدنيا بالضياء!!**

وقد بدأ به الرسل كما اقرته المجامع المسكونية فى زمانها!!

وهذا كله يكشف لنا على أننا أمام شخصية فريدة – ليست هى من البشر ولا الملائكة ولا من أى خليقة يمكن تصور وجودها أيا كان نوعها بل هو الذى يتمثل فيه الحضور الإلهى إذ قد حلت فيه الذات الإلهية باسمائها العديدة... فى اقنومه المبارك ومع ذلك فقد بقى متوحداً فى الجوهر الإلهى دون أن يحدث أى فى لاهوته فانه هو هو قبل التجسد كما من بعده فهو لم يعط لنفسه مركزا ليس له لأن مساواته لله هى حقه الأصلى الشرعى الدائم – وهذا ما لا يمكن أن يقال عن أى مخلوق!!

فهو لم يتجرد من اللاهوت وقت التجسد، لأنه لم يصر بسبب التجسد أقل مما كان عليه قبله، ولا لسبب التجسد اصبح ناقصا فى شئ ما – بل ان هذا الاخلاء باخذه صورة عبد وظهوره فى شبه الناس يفقد معناه اذا لم يكن المسيح هو الله، لان معادلته لله ليست مجرد أن يكون شبهه بل هى مساواة حقيقية صادقة وهى تتضمن له ملء اللاهوت وسلطانه المطلق مما لا يجيز قط فكرة تخليه عن اللاهوت لا عن اقنوميته الخاصة التى تميزه عن المخلوقات باسرها ولا عن امجاده وانما ستر لاهوته بحجاب الناسوت لكى نستطيع أن نرى الله فيه ويفتح لنا بذلك الطريق الى الآب!!

وفى كل ما أوردناه فى هذا البحث كفاية من الأقناع لمن يريد الاقتناع علما بأننا هنا فى أخطر موضوع يمس المصير الأبدى لا محالة!!

* * *

الفصل العاشر

إتمامه الفداء بتحمله دينونة البشر

"إله بار ومخلّص. ليس سواى" (أش٤٥: ٢١)

تقويم الأبحاث العقائدية :

لا يوجد شئ يعمق فينا روح الخشوع وينقذنا من روح الاستخفاف مثل البحث فى "الحقائق العقائدية"!!

نعم فانه عندما نُفهم قوانين وأصول الايمان فهماً صحيحا تقرب الراحة النفسية إلى القلب كما إلى العقل كأسمى موسيقى فى الوجود!! ولذلك فان للبحث عن الحقيقة الإلهية للتعرف عليها نزعة ثابتة فينا.. ولهذا يقول الكتاب المقدس : "لأنه يجب أن الذى يأتى إلى الله يؤمن بانه موجود وانه يجازى الذين يطلبونه" (عب١١: ٦).

وقد فتح الله بسابق علمه الطريق إلى معرفته بان جاء الوحى بالاعلان السماوى المنزه عن الخطأ والضلال...

ثم لما جاء ملء الزمان ارسل الله ابنه وهو الذى خبّر بحقيقة الحقائق فعرفنا عن الآب بما لم يُسبق إليه وانجز لنا الفداء الذى به أبدل العقوبة التى كنا نستحقها بالخلاص!!

ما أعلنه المسيح عن نفسه كان قاطعا ومذهلاً :

فقد أعلن أنه "كائن أزلى" موجود قبل ولادته من مريم وقبل مجيئه إلى هذا العالم بل فى إعلانه عن مساواته للآب تأكيد لوحدته معه وقد اعتبر اليهود ذلك تجديفا منه ولكنه ما كان ليفعل ذلك لو انه كان مجرد انسان!!

ولذلك فقد دعى "بالقدوس" وهذا اسم من اسماء الله، وبما انه ليس أحد كاملا وقدوسا إلا الله وحده فالمسيح إذاً هو الله!! ولا غرابة إذاً فى القول: "ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا" ... وهنا نرى ان اللاهوت قد أظهر المجد الالهى فى ناسوت التجسد وهذا مما يحير العقول التى تساءل اصحابها بالقول : "كيف أمكن أن يتحمل الله أو يقبل مثل هذا الاتضاع!؟ لأنه مع سموه تعالى وكونه فى عظمته نراه ينزل ويأخذ شكل بشرى ويظهر فى هيئة انسانية – فان ذلك يبدو فكرا غريبا ومذهلا – ولكن ذلك هو ما يؤمن به المسيحيون فيقرون بان السيد "المسيح" حائز على لاهوت يصله بالله وناسوت يصله بالانسان!!

• •

لقد حاولت فكرة "الحلول" أى وحدة الوجود التى تعتقد بازلية العالم واتحاده بالله أن توجد حلاً لتلك المشكلة وكذلك نظرية "الفيض" التى اقامت سلسلة من الوساطات بين الله والمادة أما اثناسيوس فيقول : "ان عوامل الفداء والوساطة هى عمل الله الفريد، وبدون حاجة هنا إلى بحث عن كيفية التوفيق بين ما هو إلهى وما هو بشرى فاننا لذلك نجد بانه لابد أن يكون المسيح انسانا ليمثل البشر وفى نفس الوقت إلها غير محدود وإلا لما كان كفئوا لأن يوفى دين العذاب الأبدى (غير المحدود) الذى كانت البشرية تستحقه ولكنه قد أوفاه فى ثلاث ساعات الظلمة فوق الصليب لكونه الإله غير المحدود!!

لكننا من جهة أخرى لسنا نعتقد ان الطبيعة الإلهية قابلة للتألم وانها لذلك تألمت لأن ذلك غير صحيح وذلك لأنه لا يمكن أن ينزل بها من

أعالى جبروتها بوجه من الوجوه ولا أن تعمل عملاً ما بجهد أو تعـب!! ولذلك فاننا عندما نقول أن الإله احتمل الهوان والضعف لا يفهم منه انـه احتمل ذلك بحسب الطبيعة الإلهية السامية المترفعة بل بحسب الطبيعـة البشرية التى اتخذها فلا يوجد إذاً فى ذلك ما يناقض اعتقادنا لأننا نعنـى أن ذلك الألم والضعف بل الموت نفسه يستحيل أن يلحق بالجوهر الإلهى!!

الالتزام بقراءة فصول الإنجيل علانية للجمهور من وقت تجميعها :

كان ذلك فى كل كنائس الشرق المسيحية مما كان يجعل من السـهل الاطلاع على سيرة المسيح ونوعية خدمته وخبر موته وقيامته وصعوده فاذا ما قلنا نفهم السبب الحقيقى الذى حدا فيما بعد الى انكار الصـلب إلا أن يكون هناك أمر هام كان سببا فى ذلك!؟

أهو يختص بنتائج الصليب العظيمة التى يستمدها المسـيحيون مـن الصليب والتى بالمقابلة مع غيرها يظهر كل ما عداها محتقراً فى أعـين الناس!؟

فان المسيح المهان المتوج بالشوك والمعلق على الصليب يظهر فـى أعين المسيحيين بجمال فائق وجاذبية عظمى متألقا باشعة المحبة النقيـة الساطعة وصورة المسيح المصلوب منقوشة على لوح قلب كـل مـؤمن وحياته بهيئة لا تمحى من النور والمجد!! ولازالت محبة المسيح فى كل الاجيال كمغنطيس روحى يجذب القلوب ويدفع اصحابها المخلصين الـى اتباعه حتى الموت لأنه اعاد الشركة والاتحاد بين كل مؤمن ودفع ثمـن الفداء ليفتح لنا ابواب الحياة الأبدية!!

*** اعتراف كل الطبيعة بلاهوته إقراراً منها بانه من خلال صراع جثسيمانى وصليب الجلجثة شع لاهوت المسيح بمجد فائق منقطع النظير فضلا عن صفحه لاعدائه الألداء الذين صلبوه وخَلفائهم :**

فانها قد رأت فى الذى كان يتألم فى الجسد أنه لم يكن مجرد انسان لذلك فان الشمس أخفت وجهها والأرض تزلزلت والجبال تشققت وساد على كل البشر رهبة شديدة – كل هذه بينت لاهوت المصلوب! إذ صارت كل الخليقة خاضعة له خضوع العبيد وشهدت برعبها وفزعها لحضور سيدها معلنة إلوهيته، حتى ان اغريباس الاريوباغى وصف ذلك بقوله : "لابد أن إله الطبيعة يتألم فلبست الحداد على باريها، وغطت وجهها خجلا ووقاراً.

• •

ويظهر من النصوص ان المسيح قد احتمل الموت بمطلق ارادته الاختيارية طائعا مختارا بلا اضطرار فيما عدا ان طاعته هذه تقررت من قبل فى الازل فى العلم الإلهى الشامل.

ومن ثم فان الله لم يُكره "المسيح" المنزه عن الخطية على أن يموت ولكن المسيح من تلقاء ذاته وضع نفسه ليس عن اضطرار بل بارادته الحرة ولقد كان فى سقوط الاعداء صرعى عند قدميه وقت تسليم نفسه أكبر دليل على انه ذهب معهم للصليب مختاراً!!

وبذلك اظهر الطاعة فى تنفيذ المشيئة القديمة التى كانت له هو والآب وفى قوله سابقا لهذا التنفيذ "يا أبتاه" قصد انه بما انه لا يمكن أن تتم مصالحة العالم إلا بموتى فلتكن ارادتك أى ليكن موتى لكى يتصالح العالم معك.

أى أنه بحسب تلك المشيئة الصالحة الحرة التى أراد بهـا الابـن أن يموت من أجل خلاص العالم قد أوصاه الآب بهذه الوصية "الآب الـذى أرسلنى هو اعطانى وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم" (يو١٢:٤٩).

وهو بذلك قد أعطاه أن يشرب كأس الالآم مختـارا دون أن يشـفق عليه بحسب ما ورد فى جثسيمانى ولا يؤخذ من ذلك انه لـو شـاء أن يتجنب الموت لما استطاع إلى ذلك سبيلا بل ان ذلك انما هو اعلان ان لا خلاص للبشر إلا بموته وليس هو عجز عن الافلات من الموت!! ولذلك لم تقم تلك المشيئة بانقاذه من الصلب وذلك لإتمام خلاصنا!!

وهذا الذى نرد عليه هو ما ينادى به غيـر المسـيحيون الـذين لا يعترفون بالصلب... فاذا ما كان ذلك الصلب مقدرا أزلاً فى تلك المشيئة فليس معنى صراع جثيمانى هذا ان المسيح لم يكن راضـيا بالخضـوع لمشيئة الله **بل هى تأكيد لرهبة الآمه الكفارية التى ابتدأت هنا وانها كانت الآما حقيقية لا خيالية**، ولذلك قد رأيناه له المجد ينتهر بطرس ويعتبـره شيطانا لأنه أراد أن يؤثر فيه فيمنعه عن الصلب بأهواله عندما قال له : "حاشاك يارب لا يكن لك هذا" **كما أنه تبارك اسمه قد وضع نفسه فـى جثسيمانى مثالاً لنا لكى نسلم مشيئتنا فى وسط الخطوب والمحن..!!**

* *

وهكذا نراه وقد أخلى نفسه فى سبيل الخضوع لإرادة الآب فمنع نفسه من ممارسة كمالاته الإلهية – طلب من الآب أن تعبر الكأس عنـه دون تعطيل لعمل الفداء وبدون تداخل من القدرة الإلهية غير المحدودة لنجاته.

ان معنى صلاته هو : "أيها الآب انا عالم تماما ان الآمى ستؤل الى ما فيه سرورك – **ولكن هل فى الامكان أن تعبر عنى هذه الكأس من غير تعطيل لفداء الخطاة! إن لم يكن ذلك ممكنا، فارفض طلبى هذا، وسوف أشرب الكأس حتى النهاية...**

وهذا ينقلنا تلقائيا الى اعتراض مشهور وهو قول المسيح نفسه على الصليب "**إلهى إلهى لماذا تركتنى**" (مت٢٧:٤٦) وجوابه ان صرخته هذه لم تكن من قبيل التذمر أو الشكوى وانما كانت ترديدا لنفس العبارة السابق ورودها فى المزمور الثانى والعشرين العدد الأول ليَذكر وينبه بها اليهود بانها كانت نبوة عنه!!

أما تركه هنا فهو ليقوم بوفاء ديننا وعمل دينونتنا وما كان ذلك إلا بمقتضى علمه وحكم إرادته فلا يكون ذلك تركا ذاتيا ولا انفصالا عن اللاهوت بل انه ترك ذاته للعدل يتخذ مجراه فيه ويستوفى حقوقه منه كنائب عن الخطاة...

وهذا خير رد على الذين يتساءلون : "كيف يكون إلهاً وفى الوقت نفسه يخاطب إلهاً آخر وفاتهم ان هذه الصرخة صدرت منه على الصليب كنائب عن البشر وممثل لهم! فهذا الترك اذاً قضائى لا ذاتى لإتمام الكفارة ومعنى ذلك تُرك هو حتى لا نُترك نحن إلى الأبد فلم تكن العلة التى من أجلها استغاث ان الله قد فارقه وانما هذه العبارة هى لبيان شدة تجربته وأن الآب لم يجعل الآمه صورية ولم يتداخل فى ذلك كأنه متروك منه فلقد سبق ان قال لتلاميذه أنتم ستتركوننى ولكنى لست وحدى لأن الآب معى، ولسبب ايفائه دين العدل الإلهى وجدنا هنا الله كإله عادل

وليس كأب لأن من جهة علاقته بالآب فى الجوهر الإلهى الواحد فانه ليس هناك انفصال قط فهو كتعبير عن ان الآم وعقاب خطية البشر قد تحولت إليه فتحمل بذلك أقسى عقاب للخطية الآ وهو حجب وجه الله عن البشر!! وإلى المعارضين نشير فقط إلى مواضع وضع فيها الله نفسه فى موضع البشر مما لا يليق بذاته – أفليس فى مخاطبة الله نفسه استغراب مدهش كالقول : "سبحانه لا أحصى ثناء عليك مثلما أثنيت على نفسك" وما العمل فى هذا النوع من الحمد : "حمد قديم لقديم" وكيف يفسرون القول ان الله يغفر السيّآت ويكفر عن الذنوب وبماذا يجيبون أيضاً على هذا الحديث الذى يقول بأن : "لا ملجأ من الله إلا إليه"!!

وهكذا ظهر الابن – ابن الله الوحيد – فى الصورة الشبهية الجميلة التى استرعت انتباه الملائكة عند نظرهم إياها وهو على عرش التجلى كما رأتها عيون الانبياء والأصفاء قبل التجسد وكان لابد عندئذ من استحالة ظهوره بصورته المجيدة ولذلك كان لابد أن يحجب ذلك المجد لما ظهر بالتجسد على الأرض لأننا لا نقدر أن ندركه ولا أن نبحث فيه عقليا لأنه فائق الادراك...

فانه ان كان الله يتجسد وذلك لكونه – سبحانه – هو الظاهر وهو الباطن وهو ليس ظاهرا بصفاته بدون ذاته لأن ظهور الصفات دون الذات أمر غير وارد لأن الفصل بينهما غير ممكن إذ لن يكون هناك ذاتى منعزل عن صفاته – ومن المعلوم ان صفات الله – وهى التى تعلن كمالاته وهى مطلقة ونسبية وأدبية وقد ظهرت جميعها فى اطار ناسوت ابن الله الوحيد!!

ومن ثم فان هذا "المسيح" المبارك الذى كان لابد من ظهـوره بـين البشر أمام الناس والخليقة كلها حتى يتسنى لها ان ترى خالقها وهذا هـو اساس العلاقة الدائمة التى نشأت لها معه.

ولذلك فان لم يكن خاليا من اللاهوت ومن امجاده قط حتى وان كان قد حجب هذه الامجاد بالضرورة إذ كان لابد عند ظهوره بين الناس مـن ستر امجاده الإلهية وعظمته الفائقة وراء حجاب الناسوت حتى لا تستحيل رؤيته – ولكن اخلاءه هذا – وهو من الافعال الإلهية التى نقبلها بالايمان بدون أن نتجاسر على البحث فيها – ولكننا بحسب ما افادنا الوحى به قد رأيناه وقد حّل فيه كل ملء اللاهوت جسديا كما اننا رأينـا مجـده فـى تعاليمه ومعجزاته ونوعية حياته وهذه هى حقيقة التجسد التى بها كان بعد تجسده – الله الظاهر فى الجسد – وهو بذلك الجامع بين الحق (الوجـود الإلهى الواجب) والخلق (وهو الوجود البشرى القائم على أساس الممكن فقط).

وهكذا ظهر الابن فى صورة انسان – وهى الصورة التى خُلق عليها كل انسان – وتسمى بابن الانسان متخذا من ناسوته هذا مظهراً يظهر فيه ويعلن به الجلال الإلهى – وهذا ما اقرت بـه الصـوفية بجمعهـا بـين الصورتين التنزيهية والتشبيهية وبذلك اعطت للإله حقـه فـى التنزيـه والتشبيه على حد سواء وهو على ما تقتضيه ذاته من الاستتار والتجلى لا يتغير ولا يتحول ولا يلبس شيئا فيترك غيره ولا يخلع شيئا فيأخذ سواه!!

* * *

فهرست الكتاب

	الصفحة
تمهيد :	٣
الفصل الأول : أهمية هذه البنوة وتفنيد أوصافها غير الصحيحة.	٥
الفصل الثانى : الفهم الصحيح لتسمية يسوع المسيح بابن الله.	١٨
الفصل الثالث : خلاصة الأقوال الأيضاحية عن بنوة المسيح لله.	٢٢
الفصل الرابع : شهادة الكتب المقدسة لبنوية ابن الله.	٣٢
الفصل الخامس : تفسير سبب هذه الولادة السرمدية بقدر ما اتاحه لنا الوحى.	٣٦
الفصل السادس : اعلانات العهد الجديد عن هذه البنوة.	٤١
الفصل السابع : وصف يسوع المسيح بأنه ابن الآب بالحق والمحبة.	٤٦
الفصل الثامن : يقينية الوهية الابن المولود الوحيد.	٥١
الفصل التاسع : تجسد الابن انما هو ظهور الله فى الجسد.	٥٦
الفصل العاشر : إتمامه الفداء بتحمله دينونة البشر.	٦٤

هـــذا الكتـــاب

ليس هناك من لا يعلم مدى المشاحنات التى تدور حول بنوية المسيح لله وعن مدى حقيقتها ونوعها ومتى ظهرت ولماذا رغم وصف يسوع المسيح نفسه بأنه يسكن فى نور لا يدنى منه - وكيف أنه مع ذلك وجدناه مظهر اللاهوت أى أن الله ظهر فيه وبصفة أساسية لكى تعرفه خليقته وتتعرف عليه وترتبط به حتى لا يكون الله خالقها إلهاً مجهولا منها لا تدرى عنه شئ، كما أنه بدون المسيح ما كان الله سبحانه وتعالى يظهر للملائكة والبشر بأى حال من الأحوال إذ هو فى (الصور الشبهية) ويليها (التجسدية) رأينا فيه بهما اللاهوت منظورا... وقد أقر أحدهم عندما سُئل ماذا تريد أن يكون عليه الله؟ فاجاب أنى أريده كما رأيته فى يسوع المسيح حائز الكمالين الإلهى والإنسانى وهو ما يليق بحالة الوجود المطلق الذى لا حدود له كما يبين هذا البحث عما إذا كان هناك تأثير على اللاهوت بسبب الصدورات الإلهية السرمدية وبالأكثر لحضوره فى الجسد وهو بحسب تصورات معينة لدى البعض مما لا يليق به ثم يحمل الحث الأخير على التمسك بإيماننا القويم الذى صاغته المسيحية فى مجمع نيقية وهو باق على الزمن كما هو لا ولن تستطيع أى قوة أيا تكون على تغييره والمساس به وذلك لتعيينه مخلصا وشفيعا وسيطا دياناً فى اليوم الأخير!!